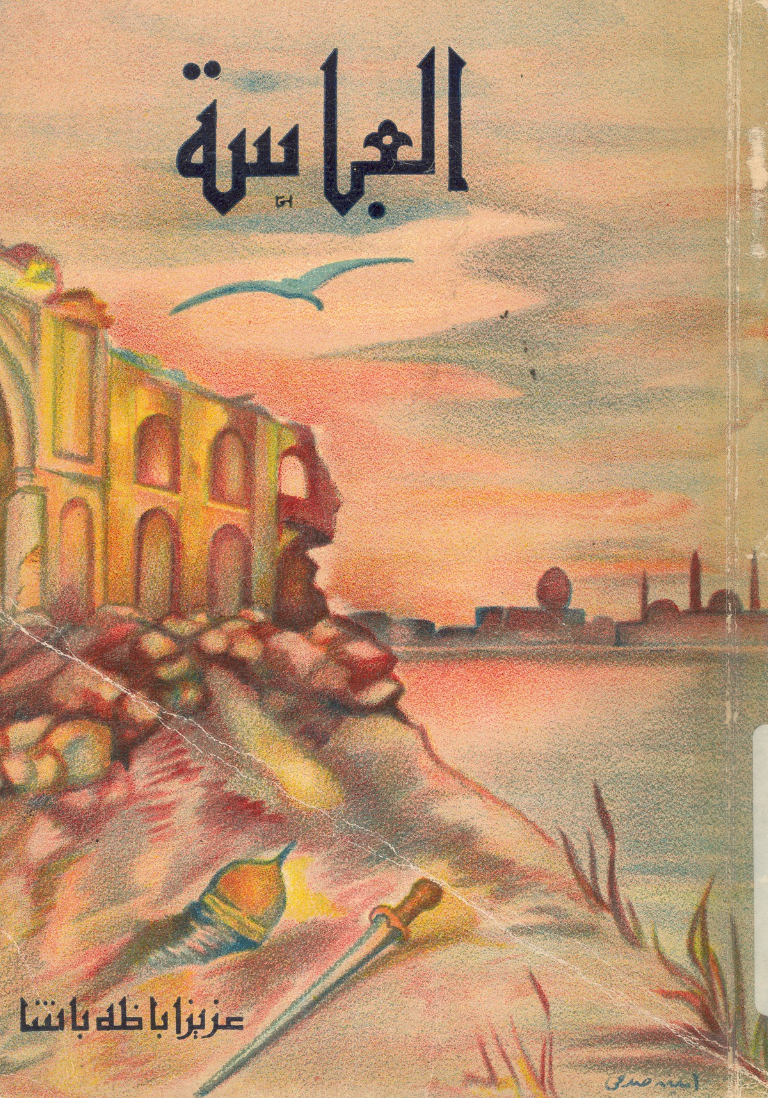

العباسة
عزيز أباظة باشا



عزيز اباظه باشا

DL

الإهداء

إلى مولاي صاحب الجلالة الفاروق

تفضلت نجلتك هذه الرعية فظهرت لعطفك السامي على الأدب والفن.

أوليت تمثيلي شرف شهودك فكان طريقي إلى الخلود.

وأضفت ممثليّ شرف رضاك فكان طريقهم إلى المجد،

ومنحت مؤلفي شرف إنعامك فكان طريقه إلى السعادة.

فإلى جلالتك يا مولاي أرفع تحية إخلاص مشفوعاً بالموفور الجليل من شكري،

وإلى سدتك الرفيعة يا مولاي أقدم هذه الطاقة المتواضعة من شعري.

وفي سبيل رسالتك العليا يا مولاي أبذل راضياً ما بقي من جهدي وعمري

أدام الله للعرب مشرق هدايته، وأبقاك لمصر والعروبة والإسلام يا مولاي موئل رعايته. وجعل عصرك الذهبي في جميع العصور آية أعظم بها من آية.

ولا زلت لمولاي خادم سدته، وحافظ نعمته

٦ مايو ١٩٤٧ عزيز أباظة

تقديم

بقلم حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا

للماضى أثر فى حياتنا أكثر مما للحاضر. ذلك بأن التراث الإنسانى تحتوى القبور من أربابه أضعاف ما تحتوى الدور. والإنسان لا يعيش بسليقته وحدها كما يعيش الحيوان؛ بل يعيش بقدر قل أو كثر من اختيار نسبي يتحكم فيه عقله ويهديه سواء السبيل. والعقل يلتمس العبرة من الماضى القريب ومن الماضى البعيد. والاتصال الدائم بين الحاضر والماضى هو الذى يدفع الإنسانية إلى مورها فى تطور مستمر لا يستطيع أحد أن يقدر مداه أو يحكم إلى أية غاية ينتهى.

لهذا حبب قصص التاريخ إلى كل نفس. ولهذا أسبغت الفنون المختلفة على هذا القصص ما يزيد الناس له حباً وبه تعلقاً. وأنت، إذ ترجع إلى ما خلف القرن السادس عشر من آثار فى التصوير الأدبى، ترى أكثره معبراً عن معان قديمة فى الدين المسيحى، أضفى عليها رفائيل، ومكلانج، وتيسبان، وغيرهم من مصورى ذلك العهد، ألوان الحياة فى عصرهم؛ ثم إنك إذ ترجع إلى مسرحيات شكسبير فى انجلترا أو إلى مسرحيات راسين وكورنى فى فرنسا ترى قصص الحياة فى اليونان وروما القديمتين، مجلوة على نحو يسيغه أهل العصر فى أوربا، لأنه يتصل بحياتهم، ويثير فى نفوسهم ما جبلت عليه من حب الماضى. وهذه الآثار البارعة فى مختلف صور الفن هى المرآة ترى فيها الشعوب وجه الصلة بين ماضيها وحاضرها، وبين ماضى الإنسانية وحاضرها. لذا يلتمس رجال الفن من صور الماضى أحبها إلى النفوس، ويجعلون منها مجالى فنهم فى أبرع صوره.

ولبعض الحوادث على التاريخ بقاء تتناقله الأجيال فى تعاقبها، لأنها تصور

عواطف وآمالا وآلاما هى بعض سجية الإنسان ، وهى لذلك خالدة على الأيام . فروميو وچولييت مثل قديم فى الغرام الأوربى يضارع مثل هلويز وإيبلار فى تصوير هذه العاطفة العاصفة بقلب الشاب والفتاة فى كل أمة وعصر . ولذلك كثر ما كتبه الكتاب عن روميو وچولييت وعن هلويز ، وكثر ما ألفوا على غرار هذا الحب المضطرم الذى ينتهى بأصحابه إلى الانتحار أو ما يشبه الانتحار . وقصة نيرون وقسوته وجبروته بعض ما سجله التاريخ ، فأخذه الفن وأضفى عليه من ألوانه ما رده إلى الحياة ، وجعله بعض سمر الناس ومتداول حديثهم ؛ لأنه يصور ما ركب فى النفس الإنسانية من شيمة الظلم .

وفى تاريخ العرب وتاريخ البلاد التى تتكلم العربية أمثال هذه الحوادث التى طواها الماضى ، ثم بقيت مع ذلك مليئة بالحياة لأنها تصور عواطف الإنسان الأصيلة التى يتوارثها الناس جيلا بعد جيل . فكما يتحدث الغربيون عن روميو وچولييت يتحدث أبناء العروبة عن جميل وبثينة ، وعن قيس ولبنى ، وعن مجنون ليلى . وكما يتحدث أهل الغرب عن قيصر ومقتله ، وعن نابليون ووقائعه ، وكما يتحدثون عن كبار الرجال من وزراء هؤلاء الأباطرة العظام ، يتحدث أبناء العروبة عن عمر بن الخطاب وعن هارون الرشيد وعن دولة البرامكة فى عهده ، ولا يكاد الحديث عن هؤلاء فى الشرق العربى أو أولئك فى أوربا ينقطع رغم ما ينطوى فى سجل الماضى من أخبار السنين .

وقد عنى العرب ، والمتكلمون بالعربية ، بتسجيل الكثير من هذه الحوادث تسجيلا أسبغ عليه الفن الأدبى من روعته ما أضفى عليه رواء أى رواء . لكن المسرح لم يكن معروفاً عند أسلافنا ؛ لذلك لم يفكر ناثر أو شاعر فى تسجيل هذه الحوادث تسجيلا مسرحياً . على أن أدبنا الحديث لم يكن يستطيع أن يهمل

تدوين هذه الحوادث للمسرح بعد أن نقل مسرحيات الغرب إلى العربية شعراً ونثراً. وكان من حسن حظ الشعر المسرحي أن بدأه المغفور له أمير الشعراء شوقي بك في مسرحياته الخالدة، وفي طليعتها مصرع كليوباترة ومجنون ليلى.

والشعر المسرحي ليس كغيره من الشعر، فالحوار يقتضي الشاعر كثيراً من ألوان الانقباض والانبساط، والانتقال من حال نفسية إلى حال أخرى، تمليها أحوال أبطال المسرحية وتغير اتجاهاتهم الذهنية. وهذا أمر لا شيء من مثله عند الشاعر الذي يرسل الشعر على سجيته هو، لا كما يقتضيه موقف أبطاله. لهذا لم يعرض الشعراء جميعاً للتأليف المسرحي، وإنما عرض له من أطاق منهم هذه الانتقالات التي يقتضيها الحوار ووقائع القصة.

وشاعرنا المسرحي اليوم هو صاحب هذه (العباسة) التي أقدم اليوم للقراء: عزيز أباظه باشا. وهو يستمد إلهامه فيها، كما استمد إلهامه في مسرحيته الأولى (قيس ولبنى)، من القصص العربي القديم. وقيس ولبنى قصة الحب البدوي الذي عرفته بلاد العرب في بواديها، والذي تغنى به الشعراء المحبون فأشاعوا به في نسيم شبه الجزيرة أريجاً عطراً من تلك العاطفة المشبوبة؛ عاطفة الحب الواري الضرام، الذي يجني على المحبين إذ يجعل أبا الفتاة يأبى عليها أن تتزوج من محبها مخافة قالة الناس فيها. أما العباسة فطراز آخر من القصص. هي القصة المتجددة على الأيام؛ قصة نكبة البرامكة على يد الخليفة العظيم هارون الرشيد. وقد أورد المؤرخون في شأن هذه النكبة أطرافاً من الحديث محص التاريخ بعضها فأقره، وألقى على بعضها ألواناً من الريبة جعلها بعض أفانين الخيال. والقصاص والكاتب والشاعر المسرحي لا يعنى أيهم تمحيص التاريخ قدر ما يعنيه اتساق الحوادث مع الصورة التي يبرزها للناس في حبكة

تستهوى ألبابهم ، وتنشر أمامهم صورة من الحاضر أُلبست ثوب الماضى ، فأكدت وحدة الفطرة الإنسانية وإن اختلفت عليها مظاهر الحضارة ، وتباين أثر التهذيب والمعرفة فى النفوس .

نكبة البرامكة قصة متجددة على الأيام ، ولست أريد أن أمحصها فى هذا التقديم ، وإنما أورد من حديثها ما لعله يزيد القارىء لقصة عزيز باشا ، ويزيد شاهدها على المسرح إعجاباً بالتصوير الشعرى الرائع الذى أجراه المؤلف على لسان أبطاله وبطلاته .

لقد كانت الدولة الإسلامية فى عهد الأمويين دولة عربية صرفة أو تكاد . ومنذ اختلف على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان على الخلافة ، تجسمت فى نفوس المسلمين من أهل بلاد العرب نفسها صورة هذا الخلاف ، فناصر علياً من كانوا يرون أهل بيت رسول الله أحق العرب بالقيام مقامه فى سياسة أمور المسلمين ، وناصر عثمان بنو أمية من ناحية ، ومن كانوا يؤمنون بأن الإسلام لا يعرف فضلا لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، وأن الأنبياء لا يورثون ، وأن الملك إن استقر فى بيت النبوة لم يخرج منه أبداً . فلما بويع عثمان بالخلافة قويت شوكة الأمويين وأنصارهم ، وتساندت فى نفس الوقت القوى الكمينة التى كانت تعارضهم ، على أمل أن يشتد ساعدها يوماً من الأيام ، فتسترد ما تؤمن بأنه حقها المهضوم . وقتل عثمان بن عفان ، فاتخذ الأمويون وأنصارهم من قتله صيحة حرب واجهوا بها علياً ومن آزره . وقتل على بن أبى طالب ، ثم قتل الحسين بن على ، فاستقر الملك عضوضاً فى بنى أمية ، وضعفت شوكة معارضيهم من العلويين ومن شايع أهل بيت النبى . على أن ضعف هذه الشوكة لم يقتل الفكرة ولم يقض على أنصارها .

وإذ كانت دمشق مقر الملك لبنى أمية ، وكانت الكوفة وغيرها من مدن العراق هى التى ناصرت علياً والحسين ، وكان العراق يتاخم فارس فقد جعلت فكرة الحق الشرعى لأهل بيت النبي تسرى من العراق إلى فارس شيئاً فشيئاً ، وبدأ الفرس ينظرون إلى سلطان العرب المطلق بالشام نظرة تربص أن تدور عليهم الدائرة . وتعاقب الأمويون على الملك قرناً كاملا بدأوا فى أخرياته يضعفون شيئاً فشيئاً ، وبدأت الثورة بسلطانهم تشتد فى فارس والعراق ، وبدأ الولاء لهم فى مصر يتضاءل . وانتهز العباسيون من أبناء عمومة النبى الفرصة ، وحالفوا الفرس الذين ثاروا بمروان الثانى آخر ملوك بنى أمية ، فأجلوا هذه الدولة عن العراق وعن الشام واستولوا على الخلافة . وكان لأبى مسلم الخراسانى الفارسى الفضل الأكبر فى إزالة دولة بنى أمية .

كان أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين . وقد جعل الأنبار مقر ملكه واتخذ له بطانة من أبناء فارس . وخلفه أخوه المنصور فاختار الكوفة مقراً لملكه ، ثم جلا عنها وأنشأ بغداد سنة ست وخمسين وسبعمائة لميلاد السيد المسيح ، وجعل منها مدينة من أجمل مدائن العالم . وقد بدأ المنصور عهده بتنظيم شئون الحكم على أسس سليمة ، واتخذ من الإصلاح الشامل للشئون العامة دعامة هذا التنظيم . على أنه خشى أبا مسلم الخراسانى وخاف إذا هو غفل عنه أن ينتقل الملك من العرب إلى الفرس . ذلك أن أبا مسلم كان رجلا مهيباً داهية شجاعاً لبيباً جريئاً على الأمور فطناً عالماً ، قد سمع الحديث وعلم منه كل شيء ، وكان فى نفس المنصور منه حزازات قديمة وكان بينهما تباغض . لذلك احتال حتى استدرجه من الشام إلى بغداد وهناك قتله . لكن قتله لم يغن المنصور ولا أغنى العباسيين الذين خلفوه عن الاستعانة بالفرس فى سياسة ملكهم .

فلما تولى هارون الرشيد الخلافة كان البرامكة من أبناء فارس هم وزراؤه وولاته وأولو السلطان والمكانة فى مملكته . كان يحيى بن خالد بن برمك كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة . فلما جلس على العرش استوزره فنهض بأعباء الدولة أتم نهوض . وكان يحيى عالماً كريماً حليما عفيفا ، فأحبه الناس ووقروه ، وبلغ من محبتهم له أن قال فيه قائلهم :

لا ترانى مصافحاً كف يحيى　　إننى إن فعلت ضيعت مالى

لو يمس البخيلُ راحةَ يحيى　　لسخت نفسه ببذل النوال

وكان الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى وزيرين للرشيد مع أبيهما . وكان الرشيد يؤثر جعفراً بمودته ويدعوه : أخى ، كما كان يدعو يحيى : أبى ، وكان جعفر فصيحاً لبيباً ذكياً فطناً كريماً حليماً ، فى أخلاقه سهولة لا تجنى على شجاعته وحزمه وجرأته وإبائه . وكان جعفر فى شبابه طموحاً ، حسن التصريف للأمور ، سخى اليد؛ ولذا قصده الشعراء فأجزل لهم العطاء . وبلغ من حب الرشيد له وإيثاره إياه أن كان لا يرد له مطلباً . وما يروى من القصص فى ذلك يكاد يبلغ الخرافة . قيل إن عبدالملك بن صالح الهاشمى دخل على جعفر داره فى يوم خلوة ، فلما أراد الانصراف قال له جعفر : اذكر حوائجك . قال عبدالملك : إن فى قلب أمير المؤمنين موجدة علىّ ، فتخرجها من قلبه وتعيد إلى جميل رأيه فىّ . قال جعفر : قد رضى عنك أمير المؤمنين ، وزال ما فى قلبه منك . قال عبد الملك : وعلى أربعة آلاف ألف درهم . قال جعفر : تقضى عنك وإنها لحاضرة ، ولكن كونها من أمير المؤمنين أشرف وأدل على حسن ما عنده لك . قال عبد الملك : وابراهيم ابنى ، أُحب أن أرفع قدره بصهر من ولد الخلافة . قال جعفر : قد زوجه أمير المؤمنين العالية ابنته . قال

عبد الملك : وأوثر التنبيه على موضعه برفع لواء على رأسه. قال جعفر : قد ولاه أمير المؤمنين مصر. وتعجب حاضرو هذا الحديث لجرأة جعفر وإقدامه على ما فعل من غير استئذان الرشيد . ثم إن جعفراً ذهب إلى الرشيد ومعه عبد الملك فلم يكن بأسرع من أن خرج من عنده وقد أجاز الرشيد كل ما قال.

مع ما كان ليحيى ولولديه الفضل وجعفر من هذه المكانة نكبهم الرشيد بقتل جعفر، والقبض على أبيه وأهله وحبسهم.

لماذا صنع الرشيد بهم هذا الصنيع وجزاهم هذا الجزاء؟ هنا تختلف الروايات من ذلك أنه رأى بأسهم عظم وسلطانهم امتد وأصبح الأمر لهم دونه، فخاف العاقبة فأوقع بهم ونكبهم. كان الرشيد يقيم فى قصر الخلد من مدينة السلام وكان البرامكة يسكنون بحذائه على الشاطىء الآخر من دجلة . ونظر الرشيد يوماً فرأى ازدحام الناس على باب يحيى بن خالد فقال : جزى الله يحيى خيراً، تصدى للأمور وأراحنى من الكد. فلما تغير قلبه عليهم نظر إلى ازدحام الناس على باب يحيى وقال : استبد يحيى بالأمور دونى، فالخلافة — على الحقيقة — له وليس لى منها إلا اسمها.

وقيل إن الرشيد ما كان يصبر عن أخته العباسة ولا عن جعفر بن يحيى، فقال له : أزوجكها حتى يحل لك النظر إليها. فكانا يجتمعان وهما شابان ثم يقوم الرشيد عنهما ويخلوان بأنفسهما . ولم يطق الشباب الصبر على أمر أمير المؤمنين ألا يكون بينهما إلا النظر ، فولدت العباسة من جعفر ولداً أرسلته إلى الحجاز . فلما علم الرشيد بما حدث أمر بجعفر فقتل وبأهله فحبسوا .

وثم روايات أخرى أوردها المؤلفون فى سبب نكبة البرامكة . وهذه

الروايات مجتمعة هى التى ألهمت شاعرنا مؤلف العباسة مسرحيته فصور فيها نكبة البرامكة . وهو قد ألف هذه الصورة تأليفاً تضافر فيه حظه من العلم مع ما رأى فى أدوار حياته : نائباً يتحدث باسم الأمة، ومدير إقليم، ومصرياً رأى من حياة مصر فى حاضرها ألواناً خلعها على حوادث ذلك العهد الذى سلف . فلما تم هذا التأليف فى نفسه أرسله شعراً مسرحياً عربياً سائغاً لذة للسامعين .

والصورة التى يسوقها المؤلف لهذه المأساة المروعة بسيطة كل البساطة . فقد أحب جعفر العباسة وأحبته رغم أنه لم يكن كفواً لها ؛ فهى قرشية وهو أعجمى . وكان الرشيد يعجب من العباسة بجمالها ورجاحة عقلها وحسن بصرها بأمور السياسة . وكان لذلك يحب مجالستها والاستماع إليها ، كما يحب جعفراً ومجالسته والاستماع إليه . ولعله فطن إلى ما بين العباسة وجعفر من عاطفة ، فعقد زواجهما فى سر من الناس حتى لا يقال إنه زوّج قرشية من أعجمى . لكنه أبى عليهما أن يكون بينهما ما بين المرء وزوجه . وتضيق العباسة صدراً بهذا الإباء الذى لا يرضاه الشرع ، وتنكره العاطفة المشبوبة . ويصور مؤلف العباسة هذه الصورة ، التى تأجج فى صدر بطلة الرواية ، فى شعر قوى غاية القوة . وتنتهى هذه الثورة بأن تلد العباسة وتبعث بطفلها إلى الحجاز ، حتى لا يعلم أخوها ولا يعلم أحد بأمره . وتظل مودة الرشيد لجعفر وتعلقه بالعباسة على أتمهما ، فيثير ذلك من الغيرة فى نفس زوجه زبيدة ما يجعلها تلتمس الوقيعة بهذين اللذين استأثرا بقلب هارون وعقله . وتستعين زبيدة على تدبيرها بخصوم جعفر وخصوم البرامكة آملة — إن استطاعت نكبتهم — أن يبقى الملك من بعد الرشيد لابنها الأمين . وبدس خدم زبيدة على الرشيد رقعة فيها شعر أنه

لم يبق له من إمارة المؤمنين إلا الاسم ، وأن سلطان الإمارة أصبح كله لجعفر وللبرامكة . ويتردد الرشيد ويرى فى الأمر كيداً ووقيعة ، وبخاصة لأن جعفراً كان فى ذلك الوقت يقضى بالشام على فتنة عمياء قام بها أنصار بنى أمية . ويعود جعفر مظفراً فتستقبله بغداد استقبالا منقطع النظير ، ويخرج إليه الرشيد بنفسه فتزداد زبيدة هماً وإمعاناً فى الكيد ، وتثير طوائف فقيرة تشكو إلى الرشيد ظلم البرامكة . أما العباسة فتنتظر مقدم جعفر فى لهفة يخفف منها أنها جاءت بابنهما من الحجاز ، تسر به أباه حين مقدمه . ويشيع أمر الطفل فى البلاط ، وينقل نبؤه إلى الرشيد فتتواتر عنده الأمارات بأن جعفراً والبرامكة لم يعودوا يأبهون له ، وأن جعفراً خيل إليه أنه أصبح صاحب الأمر ، فينقلب الود فى نفسه حقداً ، وينتهى الحقد بقتل جعفر وحبس أهله .

* * *

هذه قصة البرامكة فى مسرحية العباسة ، وهى كما ترى بسيطة كل البساطة . وبساطتها تسبغ عليها قوة يزيدها فن الشاعر أضعافاً مضاعفة . فالحب الذى ربط بين العباسة وجعفر ، والذى يتمشى فى فصول الرواية جميعاً يكاد يجعل منها قصة غرام تصور من ألوان هذه العاطفة ما يذكرنا شعر جميل وكثير ، وغيرهما من الغزلين الذين خلدت أسماؤهم فى تاريخ الشعر . وهذا الزواج المكتوم أمره على الناس ، وهذا الطفل الذى حرم من أبويه وحرم منه أبواه حتى لا يعرف الناس أمره يزيد فى قصص هذا الحب قوة . والغيرة بين العباسة وزبيدة ، وموقف علية أخت الرشيد وأخت العباسة من هذه الغيرة وانحيازها للعباسة ، كل هذا صوره الشاعر تصويراً طبيعياً يبرز ما ينطوى عليه أحاديث هاتيك السيدات الثلاثة من نفاق يمليه الموقف حيناً ، ومن صراع يستتر عنفه أنه

بين ملكة وأخت ملك ، ثم يبدو مع ذلك صريحاً كلما غلبت الطبيعة الإنسانية فلم تستطع المواضعات الاجتماعية ستره . ولا تخلو القصة إلى جانب ذلك من إشارات إلى اعتداد البرامكة بفارسيتهم واعتمادهم على أبناء وطنهم إذا حزب الأمر ولم يكن من مخاصمة الرشيد بد . وفى هذه المواقف تبدو حنكة المجرب فى أقوال الشيخ يحيى ابن خالد البرمكى وما يوجهه من لوم إلى ابنه جعفر . أما الرشيد فيبدو فى القصة متردداً بين ود أصفاه البرامكة ولا يريد عنه تحولا ، وصراع نفسى أن يصبر على ما يقال من أنه لم يبق له من إمارة المؤمنين إلا الاسم ، ثم ينتفى هذا التردد بعد إذ عرف خروج جعفر على أمره ، وبعد أن سمع ظلامة المتظلمين فلا يرى مخرجاً من تردده إلا أن ينكب البرامكة هذه النكبة العمم التى نزلها بهم .

ولا أرانى بحاجة إلى الحديث عن مبلغ القصة من السمو الشعرى ، فقد سمعها الناس ونالت من إعجابهم ما يغنى عن كل حديث . وهى بعد أمامهم اليوم يتلونها ويستمتعون منها بأجود الشعر ، وأمتنه ، وأروعه . وحسب الشاعر من سمو التقدير أن أنعم جلالة الملك فاروق عليه من أجلها برتبة الباشوية ، فأعاد بذلك عهد أمراء المؤمنين فى إجازة الشعراء تقديراً لمواهبهم ، وإكباراً لفنهم .

وأكبر رجائى ورجاء المحبين للشعر المسرحى فى الأدب العربى أن يحفز هذا التقدير السامى شاعرنا العظيم عزيز أباظه باشا ، فيخرج لنا من أمثال العباسة وقيس ولبنى ما يزيدنا متاعاً وإعجاباً وتقديراً ، وما يبعث فى حياة الحاضر صور الماضى الخالد ، أسبغ عليه أسلافنا بجلائل أعمالهم ما جعلنا نفاخر به ، ونحاول أن ننسج على منواله . . ؟

محمد حسين هيكل

أشخاص المسرحية

الممثلات والممثلون الذين قاموا بالأدوار « بترتيب الظهور على المسرح »

الدور	تعريف	الاسم
علية بنت المهدى	أخت الرشيد	السيدة زوزو حمدى الحكيم
عتبة	وصيفة العباسة	السيدة زوزو نبيل
العباسة	أخت الرشيد	الآنسة فردوس حسن
هارون الرشيد	أمير المؤمنين	الأستاذ حسين رياض
زبيدة	زوج الرشيد	السيدة نجمة ابراهيم
خلوب	وصيفة زبيدة	السيدة إحسان شريف والسيدة زوزو ماضى
بذل	» »	السيدة رفيعة الشال
ريق	» »	السيدة سامية عبد العزيز
ذات الخال	مغنية	الآنسة نوال محمد
جعفر بن يحي	وزير الرشيد	الأستاذ احمد علام
يحي بن خالد	» »	الأستاذ سراج منير
مسرور	قهرمان القصر	الأستاذ فؤاد فهيم
سكينة	ابنة الفضل بن الربيع	الآنسة سامية فهمى
الفضل بن الربيع	حاجب الرشيد	الأستاذ عبد العزيز خليل

أشخاص المسرحية (تابع)

الدور	تعريف	الاسم
اسماعيل بن يحيي	من وجوه بنى هاشم	الأستاذ عبد المجيد شكرى
ابن الهادى	» » » »	» عباس يونس
عبد الملك بن صالح	» » » »	» حسن البارودى
هرثمة بن أعين	قائد الجيوش	» يحيي شاهين
العباس بن محمد	من وجوه بنى هاشم	» محمد توفيق
شبيب بن حميد	من قواد غزوة الشام	» » »
منصور النمرى	شاعر	» محمود رضا
الوليـد	حاضن ابن العباسة	» شفيق نور الدين
أبو الجهم	زعيم وفد المتظلمين	» على رشدى
مخـلد	من وفد المتظلمين	» سعيد خليل
العجــوز	» » »	السيدة سرينا ابراهيم

المخرج : الاستاذ فتوح نشاطى

الفصل الأول

فى قصر العباسة

بهو الاستقبال الكبير وهو على الطراز العربى الفاخر مؤثث بأفخر الرياش وأثمنها على نظام المجالس المتعددة . . قطع أثرية منثورة فى البهو هنا وهناك وأزهار مختلفة الألوان فى أوان فنية دقيقة . . أستار موشاة بالذهب والفضة مضروبة حول شرفات عربية تطل على دجلة . الوقت ليل .

المشهد الأول

[عُلَيَّة بنت المهدى مضطجعة على أريكة وثيرة بالبهو . وعلى رأسها عصابة محلاة بالجوهر ، تدخل عتبة من أحد الأبواب] .

علية : أينَ مولاتُك يا عُتبُ فقد ضقْتُ انتظارا

عتبة : إنها تزدان !

علية : هل تزدانُ ليلاً ونهارا ؟

[ثم فى مرح] خُلقٌ رُكِّبَ فيهن كباراً وصغارا

تَسبقُ الشمطاءُ ذاتُ العقلِ فى ذاك العَذارى

يَستعِرنَ الحسَن . . شرُّ الحسنِ ما كان مُعارا

[تخرج عُلية أدوات الكحل وتزجيج الحواجب . وتقبل على مرآة لاصلاح زينتها فى عناية . . وتتضاحك عتبة] .

علية : [مستطردة] كلَّما أمعنَّ فى الزينةِ جانبْنَ الوقارا

هل أوافيها ؟

عتبة : ستأتى ، فأناةً واصطبارا

علية : لم أزرْها منذُ يومينِ فلم أطعَمْ قرارا

[ثم تقول في حنو]

عُتبُ ما الانباءُ ؟

عتبة : [في اشفاق] كالعهد تخوض العيشَ نارا

بين أسرابٍ من الدمعِ وانَّاتٍ حيارى

وعذابٍ كلَّما استخْفَت عن الناسِ استطارا

وجوًى إن هدأَ الليلُ رمى القيدَ وثارا

علية : [فى ألم] حسبُك اللهُ لقد زِدتِ لظى القلبِ استعارا

إنَّ للهِ لعدلاً إن طغى الدهرُ وجارا

عتبة : هى زوجٌ بصحيحِ العَقدِ والزوجُ كريمُ

فإلامَ المنعُ والحرمانُ والنهْىُ العقيمُ ؟

علية : إنه الظلمُ وأيمُ اللهِ والكِبْرُ الأثيمُ

عتبة : [وتلتفت الى الخارج] تلك مولاتى !

علية : أجاءت ؟

عتبة : صانها اللهُ العظيمُ

عليّة : أقبلى يا ظبيــةَ القاعِ وياعودَ الأَراكِ
أنا يا أختاهُ كالطَّلِّ (١) على الزهرِ أَراكِ
لا أقول البدرُ فالبدرُ شعاعٌ من سناكِ

العباسة : [فى مرح] غَزَلٌ هذا الذى تُفْتَرُّ عنــه شفتاكِ
رجلٌ انت براهُ الوجدُ أَم ماذا دهاكِ ؟

علية : إيه عباسةُ هل نلتِ من العمرِ مُناكِ
يومَ زُوِّجْتِ بمن كان من المهدِ هواكِ !؟
لم تُزَفِّى حين زُوِّجتِ ، ولم تُجْلَىْ هُنـاكِ
كان عقدٌ ، ثم ساموا خُطَّةَ الخسْفِ فَتاكِ

(١) الطل هو النـدي .

فانهلى تدليلىَ العذبَ فقد يَرْوَى ظمـاكِ
اخطرى فى القصر يُسكرْ غُرَفَ القصرِ شذاكِ
ويُطالعْها بنشوانَ من الدَّلِّ صِباكِ
خصَّكِ الحسنُ بلونٍ لم ينلْ منـه سواكِ
أترى جعفرُ يدريه ؟ ؟

العباسة : وما أنتِ وذاكِ
أبداً بين مزاح ومُجون يا عُلَيَّهْ
خُلُقٌ ليس خليقاً بالفتاةِ الهـاشميهْ

عليّة : [في تحد ومرح] ويكِ ماقلتِ؟! فهل قُلتِ الفتاةُ الهاشميهْ!؟
أتَجِدِّين وما أصبحتِ إلَّا برمكيّهْ!؟
إن زوجى قرشىٌّ أنجبتـه قرشيَّهْ (١)

العباسة : قدْكِ .. قد هِجتِ ـ وما تدرين ـ حُمَّى العصبيَّهْ (٢)
وهى شرٌّ دمَغَ العصرَ بجهلِ الجاهليَّهْ

---

(١) زوجها موسى بن عيسى الهاشمي .
(٢) اشارة لما كان قائما بين العرب والفرس من منافسة وتحاسد .

علية : [فى خبث ومرح] بل أرانى فى الذى قد سُقتُ تابعت الرشيدا
لم أقلْ غيرَ الذى قالَ ، فلم أُبدعْ جديدا

العباسة : أترين الهْاشميات جليداً أم حديدا !
نِسوةٌ، أختاه، يَحملْن قلوباً وكُبودا
ويرين الحُبَّ كالجنَّةِ قُدْسا وخلودا
ورضى الرحمنِ.. يُؤْتيه من الناسِ السعيدا
ويرينْ الميْتَ فى الحبِّ ـ وإن جار ـ شهيدا
فِطرةٌ تُخلق فى النـاسِ ملوكاً وعبيـدا
إن تَسامىَ الهـاشمياتُ بيوتاً وجدودا
فالهوى، أختـاهُ، لا يدْرى فروقًا وحدودا

علية : قِصةُ المرأةِ ما تَرْوينَ من فجرِ العصورِ
هى فى الخيْمةِ والكوخِ وفى قصرِ الأَميرِ
نَسَقٌ لم يتغـيَّرْ، فى قليـلٍ أو كثيرِ

العباسة : رُكِّبتْ كالحبِّ من شوقٍ وهجرٍ وهجيرِ

وَحَبَتْ فى المهدِ كالغَيْرةِ فى قلبِ الغيورِ
وحبتْها زهرةُ العمر (١) بأشواكِ الزهورِ

عليه: [في مرح] فَقَرٌ كالنارِ ما سُقْتِ لنا الآن وقُلتِ
وجوًى مثلُ أزيزِ القِدرِ ما عنه أبنْتِ
أتُرى بين جبالِ النارِ والقِطْرِ (٢) وُلدتِ
أبهذا القَدْرِ تَهوِينَ ؟

المباسة: وربِّى قد غويْتِ
إنما الفارقُ بين الناسِ ، أُختاهُ ، وبينى
أننى أهوى بنفسٍ وبقلبٍ ظامئينِ
وحبيبي هو زوجى وهو نورُ المقلتينِ
وهو لَحنٌ عبقرىٌّ قَرَّ بين الشفتينِ
وهو ظلُّ اللهِ فى عينى وملْءُ الخافقينِ

عليه: [تصيح ضاحكة] أبْردوها بصبيبِ الماء .. قد كادت تذوبُ

(١) زهرة العمر أى الشباب .
(٢) النحاس المذاب من الغليان .

أكذا تَنْصهرُ النفسُ وتَهتاجُ القلوبُ
إنه الحرمانُ قد أضناكِ والوصلُ الجديبُ

العباسة : أىُّ حرمانٍ لحاكِ اللهُ فالناسُ ضُروبُ
قد ظلمتِ الحبَّ، إنَّ الحبَّ شوقٌ ولهيبُ
وصدودٌ ووصالٌ ونعيمٌ ولُغوبُ
ووجيبٌ تُشْرِقُ الشمسُ عليه وتَغيبُ
كل نُعمى غيرُ هذى فى الهوى فهى جنيبُ (١)

علية : إن هذا القولَ بالبُهتانِ والزورِ مَشوبُ
أزواجٌ هو أَم لا ؟ فأصيخوا (٢) وأجيبوا
فإذا كان زواجًا فالذى يَجرى عجيبُ
قيل زوجٌ غيرُ حِلٍّ، أهوَ أهلٌ أم غريبُ ؟

العباسة: [في تبرم يسير] هكذا افتى له مُفْتيهِ

علية : تَخْريجٌ مَعيبُ

(١) الجنيب الفرس التى تسير فارغة خلف الفارس الراكب لتركب عند الحاجة والمراد هنا الدلالة على التفاهة .

(٢) اسمعوا .

العباسة : أعجميٌّ ، قال لا يرقى إلى بيتِ النبوّهْ

علية : كلُّ فُتيا حقّقت شهوةَ طاغٍ فهي نزْوهْ

العباسة : أبرم العقدَ بإيجابٍ صريحٍ وقبولْ
ثم قال الحِلُّ للعين

علية : هُراءٌ ما يقولْ
غيرُ ذا ما شرَعَ اللهُ وما سنَّ الرسولْ

العباسة : رفِّهي عنك ، فهذي الحالُ لابدَّ تحولْ
بدعةٌ تجبهُ بالصبرِ فتُطوى وتزُولْ

المشهد الثاني

[تدخل عتبة ومعها جاريتان من خدم القصر]

العباسة : عتبةُ ، هَل من نبأٌ أفضى إليكِ أو خبرْ ؟

عتبة : سيدتي أجلْ ، فقد جاءت إلى القصرِ سَحَرْ
أرسلها خليفةُ الله إليك وأمرْ

بأنهم سيَقْدُمون للسماعِ والسهرْ

العباسة: من قادمٌ فى ركبهِ ؟

عتبة: أمُّ الأمينِ وأخرْ

العباسة: إبنةُ عمى .. إنها منذُ ليالٍ لم تزرْ !!

[مستطردة] [تخاطب عتبة] هيا فهيئى لهم مجلسَ أنس وسمرْ

وأوقدى الشموعَ فى الأبهاءِ وانثرى الزهَرْ

وضمخى الأستارَ بالطيِّب وعطِّرى الحُجَرْ

وعالجى نَضَّاخَةَ (١) الماءِ يَثبْ وينْهمرْ

ورَقرقيه يَجْرِ فى بِلَّورِها وينحدرْ

عليه: ونبِّئى القيانَ يُعْدِدْنَ أغاريدَ السحرْ

من كل لحن شرب الليلُ عليه وسكرْ

العباسة: وهيِّئى الكامخَ(٢) ، عُتْبُ ، والشِّواءَ والخُضَرْ

وأثلجى الحلواء والتمر وأثْدَاء الشجرْ (٣)

---

(١) نافورة الماء (٢) ما يعبر عنه الآن بفاتح الشهية (٣) أثداء الشجر هي الثمار

وسلسلى شرابُهُ من رُطَبٍ لم يَخْتمِرْ

وعنبٍ رفّ ندى الفجرِ عليه فانعصرْ

عتبة : سيدتى أمرُكِ مَقْضِىٌّ ، وعزّ من أَمرْ

[تخرج الجاريتان وتتلكأ عتبة]

العباسة: لم تمض ياعتبُ وهذا الوقتُ يمضى ويمرْ

عتبة : سيدّتى لم تسمعى سائرَ ما تَروى سحرْ

العباسة : [فى تبرم] وما الذى تروى سحر ؟

علية: هلاّ نطقت ! ما الخبرْ؟

عتبة: تقولُ" أمُّ جعفرٍ (١) باتت بقلبٍ منفطرْ

دبّ الشقاقُ بينها وبينَهُ (٢) ثم اشتجرْ

فلم تَزلْ تُغلظ فى القول له حتى انفجرْ

أقسم إن لم تقتصدْ فى الهُجْرِ صَدّ وهجرْ"

العباسة : وَيْكِ وما شأنى بذَا ؟

عتبة : ستعلَمينَ ما استَتَرْ

(١) لقب زبيدة (٢) بينها وبين الخليفة .

هذا الشقاقُ كلُّهُ حولكَ شبَّ واستعرْ

العباسة : وكيف ذاك؟

علية : أفصحى

عتبة : تلك أعاجيبُ القدرْ

قالت له توغره عليكِ ، وُقِّيتِ الغيَرْ

إنك تبدين لها الصَّفوَ وتخفينَ الغَدَرْ (١)

وإنَّك استعنتِ بالمكر عليها والخَمَرْ (٢)

وتُضمرين لابنها كلَّ أذَى وكلَّ شرْ

فإن تحدَّثتِ به فعلت فى وخزِ الإبرْ

العباسة : هذا حديثٌ كذبٌ

علية : هذا اختلاقٌ محتقرْ

عتبة : وعاتبَتْهُ أنهُ يُطيلُ عندكَ السَّهرْ

وأنهُ والاكِ بالعطفِ خَصَّ وقصَرْ

---

(١) ما يتبقى فى النهر من الوحل اذا نضب الماء (٢) الختل .

العباسة : إمضى إلى شأنِك ياعتبُ . . ولا تُفشى الخبرْ

[تخرج عتبة]

علية : يَعرفن من سرِّ البيوتِ ما استكنَّ واستسرْ(١)

فأىُّ مَطوىٍّ بها مُكَتَّمٍ لم ينتشرْ !؟

[تسمع ضجة بالقصر . ويتعالى تصايح الخدم . وتلحظ فى خارج المسرح حركة واضحة]

العباسة : هــذا أخى جاءَ

علية : يَرعى أخى اللهُ

تعنو له العليا والعزُّ والجــاهُ

العباسة : وتَدعَمُ الدنيا والدينَ يُمناهُ

[تحاول العباسة وعلية اصلاح الأرائك والمقاعد وتنظيمها بأيديهما في عناية ظاهرة ثم تخفان الي الباب]

[تدخل عتبة وهي تلهث]

عتبة : مَـولاىَ يَرْقَى سُلَّمَ القصرِ

فى . موكبٍ كمواكبِ النصرِ

[تدخل جارية أخرى]

الجارية : مولاى عنــد القاعةِ الكبرى

---

(١) اختفى . .

[تدخل جارية ثالثة]

الجارية : مــولاى جاز البــاب والســترا

المشهد الثالث

[يدخل الرشيد فى سواده . وتدخل زبيدة معه في أبهي حللها وزينتها . وتدخل خلفها خلوب وبذل وريِّق وصيفات زبيدة]

العباسة وعلية [معا] : نَفدِى الخليفةَ بالحياةِ

الرشيد : بِنفسهِ يَفــديكُما

[ثم يحتضنهما]

إن الخليفــةَ لم يجئ

ما جاء غــيرُ أخيكما

العباسة : [وهي مقبلة على زبيدة]

أهــلاً بدرَّةِ هاشمٍ

زبيدة : بل أنتِ درتُهــا الفريدهْ

العباسة : أهلًا بأزكى الناس أعراقاً وأحساباً مجيدهْ

أهلًا بمَنْ رُزقَ الجمالُ على معارفها خلودهْ

أمْنُ الرشيد وكهْفُه الحانى وحكْمَتُه السديدهْ

ضَمَّتْهُ بين طريفِ بهْجَتِها وعزَّتِها التليدهْ

بين الهناءةِ والرفاغةِ ثَمَّ والنِّعَمِ السعيدهْ

الرشيد : [ضاحكا] هذى مُصانعةُ الغوانى فى مظاهرها المزيدهْ

العباسة : بل إنه الحقُّ الصُّراحُ جلَوْتُ والدنيا شهيدهْ

تَهْديكَ إن دَجَت الأمورُ بكل ثاقبةٍ رشيدهْ

وتُريك باللَّمْحِ القريبِ مَطارحَ النَّظرِ البعيدهْ

وتَقيكَ إن عرضت لكَ البَدَرات(1) بالحُجَجِ المشيدهْ

[ثم تربت على كتف زبيدة وتقول فى دلال]

رَضيَتْ محاسنُها القديمةُ عن محاسنها الجديدهْ

زبيدة : أسرفت فاقتصدى

علية : لقد

قالت وأيْمُ الله صدْقا

العباسة : فزبيدةُ ابنةُ جعفرٍ قد كُمِّلَتْ خَلْقا وخُلْقا

---

(1) الهفوات السريعة .

فاضت على المحروبِ والمحرومِ عافيـةً ورزقَا
شقّتْ طريقَ الماءِ فى البيداءِ للبطحاءِ[1] شَقّا

الرشيد : فإذا بكّةَ ـ بعدَ طول تعطُّشٍ ـ تَروى وتُسقَى

علية : قد فاز بالرضوان من خاضَ السبيلَ إليه سَبْقَا

زبيدة : أختىَّ، هذا الفضلُ قد كانَ الرَّشيدُ به أحقَّا
بذلَ المعونَةَ همّةً وبذلتُها عيناً[2] ووَرْقَا[3]
قد كان جعفرُ مُحْنَقاً لم يألُ هذا الأمرَ ضَيْقَا

[يلتفت الرشيد للعباسة وعلية كمن يطلب اليهما أن تتسامحا]

زبيدة [مستمرة] : ويقول حمقَى !

العباسة : هل سُقاةُ البيتِ والعَلَمَيْنِ[4] حمقَى؟

زبيدة : وإذا خصومُ طِماحهِمْ يرمونهم كذْباً وصدْقَا
قالوا زنادقةٌ ولستُ أظنُّ هـذا القولَ حَقّـا

الرشيد [للعباسة] : قد قيلَ لى ماساءَنى فليتَـــنى لم أسمعِ
فَظَلَلْتُ معنيًّـا به ، حتى أقَضَّ مضجعى

(١) البلد الحرام (٢) الذهب (٣) الفضة (٤) جبلا مكة

العباسة [في اهتمام] : ماذا؟ بَقيتَ جُنَّتي وأملي ومَفْزَعي

الرشيد [مشيراً عليهما] : قالوا اختلفتما معاً

العباسة: لم تختلفْ قطُّ معي

ذاكَ حديثُ كاشحٍ

زبيدة : أو ادعاه مُدَّعي

العباسة: علامَ وهي قُدوتي إلى العلا الممنَّعِ؟

وهي إذا النفسُ هفَتْ إلى الودادِ مشرعي

نشأتُ بين حبِّها وعَطفها الموشَّع

فإن أَلَمْتُ ليلةً باتَتْ تحفُّ مضجعي

وكم بَكَيْتُ فالتقتْ أدمعُها وأدْمُعي

الرشيد : سمعتُ من عَبَّاسةٍ فيازبيد أسْمعي

زبيدة : لا تُلْقِ بالاً للّذي دَسَّ الوشاةُ ودَعِ

فالحبُّ والودُّ لها ما ضمنتْهُ أضلُعي

لا والذي زيَّنَها بالحُسْن والتورعِ

ما نزلَتْ من مُهجَتى   إلا أجلَّ موْضعِ

الرشيد : إذنْ فقد تحدَّثوا   فموَّهوا وأرجفوا

العباسة [في لهجة عتاب] : أكثرُ ما سمعتَ أملاهُ الهوى والجَنَفُ[1]

ما كان غيرَ أنها   تغمزُ بى فتُسرفُ

تقـول عن تزيُّنى   ما لا يقولُ منصفُ

ولم يَرُقْ لى مئْزرٌ   فى عينها ومُطْرَفُ[2]

فإن عَقَصْتُ جُمَّتى   تقول لو تُصفِّفُ[3]

حلفتُ بالبيتِ العتيـ   ـقِ والمحقُّ يحلفُ

ما شفَّنى من فعلها   حقدٌ، ولكن أسفُ

زبيدة [فى حدة] : تلك وربِّى قولةٌ كبيرهْ !!

وتهمةٌ منكرةٌ خطيرهْ !!

الرشيد [فى دهشة ومرح] : أقولةٌ كبيرهْ   وتهمةٌ خطيرهْ !؟

---

(١) الظلم   (٢) ثوب من حرير

(٣) الجمة شعر الرأس ، والعقص شد الشعر الى الخلف ، والتصفيف نوع آخر من تنظيم الشعر .

زبيدة [في اصرار] : أجلْ ومن خَصَّك بالمواهب الجهيرهْ(1)
لو تهمةٌ أخرى، لقدْ حسبتُها يسيرهْ
ولم تكن خليقةً بالدفع أو جديرهْ
الرشيد [للعباسة] : إذن فقد بلَّغتِ ما لم تقلِ الأميرهْ
ليتكما رجعتما للعقل والبصيرهْ
العباسة [في تظاهر بالبراءة] : لو لم أكن أرعى لها الـ ـمكانة الأثيرهْ
لما عتبتُ والعتا بُ يُخْلصُ السريرهْ
إن العتاب للوئا مِ دعوة ستيرهْ (2)
الرشيد [في مرح] : ويح النساء فقد يَثُرْ نَ لكل تافهةٍ هواءْ
فإذا رشدنَ فرشدهنَّ له اعوجاجٌ وانثناءْ
جرَّبتُ في العباسةِ الحز مَ المشيَّعَ(3) والمضاءْ
وعرفت عند زبيدةٍ عقلاً يضيءُ كما يشاءْ
تَزنُ الأمورَ بحيلة الضُّ عفَى(4) وعزمِ الأقوياءْ
فإذا الخلاف عراهما نضبَ الحِجى وخبا الضياءْ

---

(1) الرائعة (2) مستور (3) القوى (4) جمع ضعيفة

إن النساء وإن نَبَغْنَ

العباسة وزبيدة [معا] : فإنما هُنَّ النساء

[تضاحك ومرح]

علية : [تقوم فى حركة عصبية الى أقصى المسرح]

يا رحمتا للأسدِ المسكينِ

بات طعامَ الظبياتِ العينِ

[مستطردة] وَيْحَهما لم ترحما وقارَهْ

فسامَتاهُ خُدْعَةً كُبَّارَهْ

فى مأزق قد خاضتا غمارَهْ

فصاولت جبَّارةٌ جَبَّارَهْ

ثم أجنَّ النقعُ من أثارَهْ

المشهد الرابع

الرشيد : من الليلةَ شادينا يُغَنِّينا فيُغنينا ؟

العباسة : ألا تسمع ذات الخال[1] ؟

الرشيد : بل أقصى أمانينا

---

(١) مغنية من قيان الرشيد وزميلة دنانير المعروفة

العباسة : لقد جُنَّ بها اسحق(١) من بين جوارينا

وقال استوفتِ الصنعةَ تطريباً وتلوينا

متى تأذنُ ؟

الرشيد : هاتى الآن

العباسة : ياعتبةُ جيئينا

عتبة : [تنادى من أقصى البهو] تَقَدَّمنَ تَقَدَّمنَ فان الليلَ قد جنَّ

وغَنِّينَ أمينَ الله في مجلسهِ الأسنى

لقد أنجحَ مَنْ وَقَّعَ منكُنَّ ومَنْ غَنَّى

[يدخل عدد كبير من الفتيات على صفين متقابلين وبأيديهن الأعواد والدفوف وسائر الالات يضربن عليها . وهن لابسات جميعا أثوابا موشاة على طراز واحد . ورؤوسهن مكللات بعصائب مزركشة . وتدخل في وسط هذين الصفين ذات الخال وهي مختلفة الزينة عنهن] .

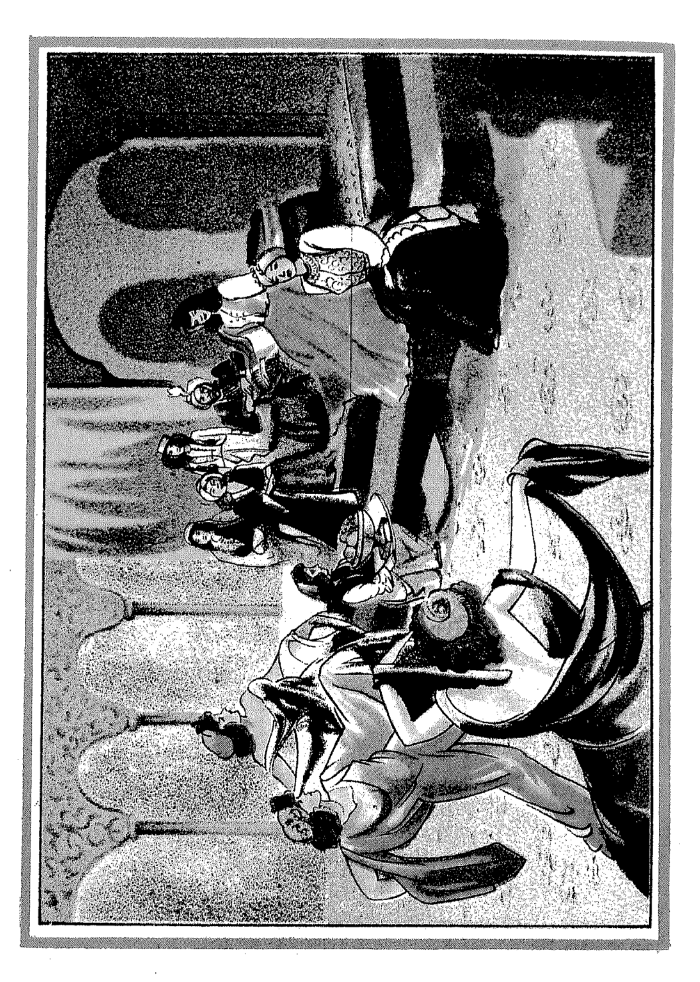
[الضاربات في صوت واحد] "أيا مَنْ طرفهُ سحرٌ ومن ريقتهُ خمرُ"(٢)

---

(١) هو اسحق بن ابراهيم الموصلى .

(٢) الشعر للحسين بن الضحاك من شعراء الرشيد.





« تجاسرتُ فكاشفتُك لما غُلبَ الصبرُ »

« وما أحسنَ فى مثلك أن ينهتكَ السِّترُ »

[ثم تنفرد ذات الخال]

ذات الخال : « قفا ودِّعا نجداً ومن حلَّ بالحِمى

وقلَّ لنجد عندنا أن يُودَّعا »(١)

« بنفسىَ تلك الأرض، ما أطيب الرُّبا

وما أحسنَ المصطافَ والمُتربَّعاَ »

« وليست عشيَّاتُ الحِمى برواجعٍ

عليك، ولكن خَلِّ عينيْك تَدْمَعا »

« وأَذكرُ أيامَ الحِمى ثم أنثنى

على كبدى، من خشيةٍ أن تَصَدَّعا »

الرشيد : أحسنتِ ذاتَ الخالِ واسْتوْفَيْت كلَّ حِذْقِ

وفُزْتِ فى الأحكامِ بالسبْقِ وأىِّ سبْقِ

هذا غِذَاءُ النَّفْسِ والروحِ وأيْمُ الحقِّ

(١) الشعر للصمة بن طفيل بن عبد الله من شعراء الدولة الاموية .

[مستطرداً] هلّا ختمتِ بلحنٍ من صَنْعةِ المحدَثينا

فإن فعلت بَذَلْنا شُكرانَنا ورضينا

[الضاربات يعدن للضرب والرقص والهزج]

الضاربات : « منفصلٌ عنّي وما قلبيَ عنه منفصلْ [1] »

« ياقاطعي اليوم لمن نويْتَ بعدي أن تصلْ »

ذات الخال [منفردة] : « سألتُ من سيّدُ الدنيا وقيِّمُها ؟

فقيلَ هارونُ ذو التاجينْ وابْناهُ »

« خليفةُ الله يُسْتَسْقى الغمامُ بهِ

وواحدُ الكونِ يُسْتَرْضى بهِ اللهُ »

الرشيد : لمن الشعرُ والغناءُ ؟

علية [مسرعة] : لذات الخال

العباسة [ضاحكة] : بلْ للأميرةِ الهاشميّهْ

علية : أَتُراهُ مما يُعابُ علينا

زبيدة : لم يقلْ ذاكَ مُنصفٌ يا عُلَيّهْ

(١) الشعر والضرب لعلية بنت المهدى .

الرشيد : إنما الشعرُ والغناءُ مقاييـ

ـسُ سموٍّ للأنفسِ البشريّهْ

وهما فى الشعوبِ معيارُ مافيـ

ـهِنّ مِن عزّةٍ ومن حيويّهْ

وهما زينةُ الحياةِ تعالى

بهِمَا عن طباعها الأرضيّهْ

أمةٌ لا غِناءَ فيها ولا شعْـ

ـرَ ولا فنَّ أمةٌ غيرُ حيّهْ

[تدخل عتبة]

عتبة : مولاىَ لا زلتَ فى هناءٍ

ضافٍ وفى نعمةٍ مُنيفهْ

جعفرُ بالبابِ فى عظيمٍ

يسألُ أنْ يأْذَنَ الخليفهْ

الرشيد [فى اهتمام] : جعفرُ بالبابِ ! أدخليهِ

وكرِّمى مَقْدَمَ الوزيرِ

تُرى فما ساقه إلينا!

لا بدَّ من طارقٍ خطيرِ

[تتهيأ زبيدة وعلية للانسحاب وتتناهض العباسة كذلك]

زبيدة : فلنقمْ نحنُ

علية : ويا عُتْبُ ائذنى للمسمعاتْ

ومُرى أن يُخْلىَ البهوَ القيانُ الضَّاربات

[ينسحبان وتحاول العباسة الخروج]

الرشيد : إيه عباسةُ لا تمضى ، فَمثْواك هُنَا

إنما أسمحتُ (١) بالعقد لتبقَىْ معنَا

رُبَّ أمرٍ ضاق عنه الوسعُ ذللتِ لنَا

[تجلس العباسة]

العباسة : يا أمينَ اللهِ ما أحسبُ هذا مُمْكنَاَ

إن فى رأيك من جدِّك نوراً وسنَا

تُرْسلُ اللَّمْحةَ فى الأمر فتطوى الزَّمَنا

---

(١) اسمح وسمح بمعنى .

المشهد الخامس

[يدخل جعفر في أبهى حلله وبيده خريطة بهـا مكاتيب]

جعفر : [من عند الباب] سـلامٌ أيها المولى

[ثم يتقدم الى وسط البهو]

وحيَّا الله مولاتى

الرشيد : سلامٌ يا أخى . قد جئتَ فى بعضِ الملمّات
أخى لا تكتم الشرَّ ، فقد يذكيه كتمانُهْ
فقل نُسْرِعْ بتدبيرٍ ، يُنيمُ (١) الشرَّ يقظانُهْ
فإنَّ الرأىَ لا يُثمرُ إنْ أدبرَ إبَّانُهْ

جعفر : رعى عرشَك ربُّ العرشِ لا تَغمضُ أجفانُهْ
وصان العدلَ فى مُلكك ، يا مولاى ، ميزانُهْ
وشد الأَيْدَ والسلطانَ فى حكمِك سُلطانُهْ

[يشير الرشيد له بالجلوس فيجلس]

(١) أنام من النوم ، وأنام أيضا بمعنى قتل .

الرشيد : وماذا !!

جعفر : مصرُ قد ثارت على اسحق [1] واليها
فأجلَتْهُ ومن والاهُ من صيدِ مواليها
دهَتها الفتنــــةُ الجُلىَّ فباتت وهى تطويها
فلا الجيشُ ولا الأسطولُ أجدى فى تلافيها
وقد قال بنو مصرٍ دعوا مصرَ لأهليها
فلا يتبعُ بغــــدادَ ولا رومةَ واديها

العباسة : أكاذيبُ تزيفُ الحقَّ تضليلا وتمويهـــا
متى مصرُ وأهلوها رأوْنا من أعاديها ؟

جعفر : وهذا الفتح [2] مُنجيها من الرِّقِ ، ومُحييها
وما زالت بتوجيهِك ترَقى فى مراقيها

الرشيد : عجبنا ، لم نكن حربًا على مصرَ ومن فيها
بذلنا الأمنَ واليُسرَ ففاضا فى نواحيها

---

(١) اسحق بن سليمان بن على .
(٢) الفتح الاسلامي على يد عمرو بن العاص .

فلم تُظلم أدانيهـا ولم تَطغَ أعاليهـا

ضمِنّا القوتَ والثوبَ لطاويها (١) وعاريها

ولم نَحْجب سوى الفضْلِ (٢) بذلناه لعافيها (٣)

فهذى الفتنةُ الحمقاءُ لم تفْهمْ دواعيهـا

جعفر : ظننا أننـا بالعدلِ تعدونا عواديهـا

وللعدلِ حدودٌ يُفسـدُ العدلَ تعدّيها

الرشيد : [لجعفر] وما أعددتَ للأمرِ ؟

جعفر : [في حماس] جُيوشـاً وأساطيلا

وخيلاً تملأ الأرضَ وسفْناً تزحمُ النيلا

وأمّرتُ على القوادِ والجندِ أخي موسى (٤)

فمر يصحبْ إلى مصرَ الإشدّاءَ القناعيسا (٥)

ومُرْ يضربْ عليها الهُونَ والذلّةَ والبوسا

فما يصفحُ عن رأسٍ وما يرْحمُ مرؤوسا

---

(١) الجائع (٢) الزائد عن حاجة المواين (٣) الفقير المحتاج .

(٤) موسى بن يحيى بن خالد من كبار قواد الرشيد (٥) الأقوياء .

إذا الملكُ احتمى بالأيْدِ[1] بات الملكُ محروسا
ومن لم يَدُسِ الأعداءَ في أوكارها .. دِيسا

الرشيد : أبا الفضل[2] دبَّرتَ الأمور وسُسْتَها
بحزمٍ كفيٍّ صارمِ العزمِ قاصلِ[3]
كفى رأيك الجُلَّى وما الرأيُ نافع
إذا لم تُتَوجْه بإقدامِ فاعلِ

العباسة : أيؤذن لى ؟

الرشيد : [فى حفاوة] قولى فعندَكِ يُرتجى
سنا الهدْىِ فى سودِ الخطوبِ الجلائلِ

العباسة : إذا خفَّ من بغدادَ جيشٌ فإنه
مُشارفُ مصرٍ فى المدى المُتطاولِ
وإن استباق الوقتِ فى الحرب عُدَّةٌ
تُعين على وافٍ من النصرِ فاصل

(١) الأيد القوة (٢) كنيه لجعفر بن يحي (٣) قاطع .

فهلاَّ بَعَثْتُم من فَلَسطين فَيْلقاً

عليـــه الفتى المرجوُّ يومَ الغوائلِ

فليس لموسى كابنِ أعينَ (1) خبرةٌ

إذا الأَرضُ ماجت بالقنا والقنابلِ (2)

ولا هو طَبٌّ (3) بالمكايدِ مثلَهُ

إذا سبقَ الرأيُ اصطدامَ الجحافلِ

الرشيد : [بعــد برهة ترو]

أفي ذاك خـــيرٌ ؟؟

جعفر : بل هو الخيرُ كلُّه

ويارُبَّ رأيٍ بالرجاحةِ حافلِ

وكنتُ حقيقاً أن أراه لو انني

أُعنتُ بعلويٍّ من الرشـــدِ فاضلِ

العباسة : وقلتم بأنَّ القتلَ أنفي لمثلِه

ومِلتُم لتحكيمِ الظُّبا والذوابلِ (4)

(1) هو هرثمة بن أعين أكبر قواد الرشيد (2) جماعات الخيل

(3) خبير (4) الرماح .

وتــــلك لقهر الشائرين وسيـلةٌ

ولكنَّها ليست بأوفى الوسائلِ

الرشيد : بمـاذا تُشـــيرين الغداةَ ؟

العباسة : بخُطـة

تُصيب ولا تُدمى خبيءَ المقـاتلِ

إذا جئتمو مصراً فلا تبذلوا لهـــا

تَصَلُّفَ غاز أو عداءَ مُقــاتلِ

فإنكمو إن تَشهروا السيفَ تَشهدوا

ضوارىَ آساد وعُصْمَ [1] أجادل [2]

ولـكن عليكم بالمـكيدة تظهروا [3]

ويارُبَّ نصرٍ فى مكيـــدةِ باسلِ

عليكم بتأريثِ [4] الخُصومةِ بينهم

وإذكائِهـا هوجاءَ بـين القبائلِ

(١) الممتنع المعتز (٢) جمع أجدل وهو النسر .
(٣) تنصروا (٤) اشعال .

إذا ما تألَّفتم فريقاً تحاسدوا

وباتوا على مثلِ الرماحِ العواسلِ [1]

وليس كحقد الفاشلين إذا اغتلى

على الغُرِّ من أهلِ النُّهى والفواضلِ

ولو قد تَقَرَّبْتُمْ لبعضٍ وجوهِهم

أَثَرْتُمْ عليهم كلَّ غِمرٍ [2] وخاملِ

ولو قد قَدَرْتُمْ فيهم عِلْمَ عالمٍ

حفزتُمْ إلى تحقيرِهِ كلَّ جاهلِ

ولو قد تَعاهدْتُمْ بفضلٍ فَصيحَهم

جمعتُمْ عليه الحقدَ من كلِّ باقلٍ [3]

بنو مصر مشغوفون بالخلفِ بينهم

على باطلٍ إن شئتَ أو غيرِ باطلِ

وإن لديكم فتنةً لو قذفتمو

بها ، فعلت فى مصرَ فعلَ الزلازلِ

---

(١) المهتزة الحادة (٢) قليل التجربة (٣) هو اسم لرجل يضرب به المثل في العي.

أشيعوا خــلافَ الدِّين فيها فإنه

مُلِحٌّ عليهـا بالفَناءِ المُعاجلِ

ستبقى - إذا لم يَهجرِ الخُلفَ أهلُها

على الدين - نَهْبًا للهوى والتخاذُلِ

الرشيد : أصبتِ فهذا الرأىُ لارأى مثلَه

جعفر : وبالرأى يؤتى النصرُ لا بالجحافلِ

الرشيد : [لجعفر] أبا الفضلِ فلتأْخذْ به

جعفر : قد وعيتُـه

ولستُ إذا أزورَّ (١) عنه بعاقلِ

الرشيد : [وهو يتهيأ للقيام]
[فى تدليل للعباسة]

أحكمتِ فنَّ الحربِ والسياسهْ

فى نُهيـةٍ تَزينها الكياسهْ

لو قد خُلقتِ رجلاً عباسهْ

---

(١) ازورَّ انحرف .

لكنت أولى البيتِ بالرياسهْ

وكنت من أدهى دُهاةِ الساسهْ

[الرشيد مستطردا للعباسة وهو واقف]

أنا ماضٍ وفى ركابى وزيرى

فاحملى ذاك للأميرة عنّا

خيِّريها فإن رأت سَبَقتنا

العباسة : أو أقامت فذاك ما نتمنَّى

[تخرج العباسة]

جعفر : أمُصْغٍ أمينُ اللهِ لى أم إلى غدٍ

فأُنبئَه ما أحدثَ ابنُ طريفٍ (١)

الرشيد : [فى اهتمام] فهل نقض الميثاق !؟

جعفر : بلْ خان واعتدى

وما كانَ فى عُدوانهِ بعفيفِ

---

(١) الوليد بن طريف . خرج علي الرشيد بالجزيرة وحكم فيها ثم قضي على ثورته وعليه .

نضـا السيفَ فى وجهِ الخلافةِ

الرشيد : [فى غضب] ويحَـه

لقـــد ذاق عَفْوى فلأُذْقْهُ حُتوفى

[ثم لجعفر] لقد كنتَ أهدى الناس رأياً فلَيتنى

أطعتُك فانهالتْ عليـــه سيوفِى

صدقتَ ، فإن الصفحَ عفّةُ عاجزٍ

عن الخارجِ الباغى ، وحِلْمُ ضعيفِ

سأمضى بنفسى للغـــوىِّ مؤدباً

بجيشٍ كمركومِ السحابِ كثيفِ

جعفر : [في سرعة واعتراض] أيمضى له مولاى !! بل أنا شاخصٌ

له فى غدٍ ، فأذنْ أُطالعْـهُ فى غدِ

الرشيد : [بعــد برهة ترو] أصبتَ ، فإما أنتَ حاملُ عِبئهـــا

وإمّا أنا

جعفر : بل إننى دِرْعُ ســـيدِّى

فهبْ لى رضاكَ السّمْحَ أُخضعْ به الدنا

فكيفَ بهذا المارقِ المتمرِّدِ !

أنِرْ لى سبيلى من هُداك فأهتدى

وهيِّءْ لىَ الرأىَ السديد أُسدِّدِ

بقيتَ أمينَ الله لابس سؤددُ

تَرِفُّ به الدنيا ، وواهبَ سؤددِ

الرشيد : [وهو سائر الى الباب]

أخى جعفرُ اتبعنى إلى القصر وأتنى

بجِلَّةِ قوادى نُدبِّرْ ونُعدِدِ

[تدخل العباسة]

العباسة : زبيدةُ فى ركبها المُمجَّدِ

قد بارحتنا الآن أو لم تَكَدِ

قاصدة قصرَ ابنِها محمدِ

الرشيد : عمى مساءً

العباسة : سأراكَ فى غدِ

تَرفلُ فى هنـــاءةٍ ورَغَـــدِ
مُؤيَّدَ الملكِ مصونَ الولدِ

[يخرج الرشيد وجعفر]

[يخلو المسرح للعباسة التي تقف والهـــة مهتاجة]

العباسة : أراكَ فيَسْتشْرى بىَ الشوقُ والجوى
وشوقُك للـــدانى المُلِمِّ أليمُ
وتنأى فتطغَى بى إليـــكَ نوازعٌ
وداءٌ بأحنـاءِ الضـلوع قديمُ
جرى فى دمى حبِّكَ مُذْ نحن طفلةٌ
وطفلٌ كموْشىِّ الصباح وسيـمُ
وسُقْتَ إلىَّ الودَّ وطفـاءَ ثَرَّةً (١)
وبعضُ مودَّاتِ الرجالِ عقيـمُ
أُقيم على عهدِ الودادِ حَفيَّةً
به ، وعلى الودِّ الصميمِ تقيـمُ

(١) السحابة الغزيرة .

وأسعدنى أنى من السُّقْم والهوى

ضَنيتُ فلم أفزعْ وأنت سليمُ

شواكلُ من وجدٍ تَصَلَّيْتُ نارهَا

فكاتمتُها ، إن المحبَّ كتومُ

إذا ما اشرأبَّت بين جنبيَّ صبوةٌ

تداعت لها نفسٌ عليكَ رءوم (١)

أُدَافِعُ لا أُطفى ظمائى وغُلَّتى

ووردُك صافٍ والجوانحُ هِيمُ (٢)

تَصابرتَ عن حقِّ البعولِ وحاجِها (٣)

ونَهْنَهْتَ عنها النفسَ فهى كظيمُ (٤)

وكنتَ أعفَّ الناسِ نجوى ونظرةً

حِفاظاً وبُقْيا ، والكريمُ كريمُ

---

(١) عطوف (٢) ظامئة (٣) جمع حاجة

(٤) الكظم : التحمل فى مشقة وضبط نفس .

المشهد السادس

[تدخل عتبـــة]

عتبة : سيدى يحيي بنُ خالدْ

العباسة : أدخـــلى الشيخَ الجليـــلْ

إنمـا أركبه الليلَ لنا شأنٌ جليلْ

[يدخل يحيي بن خالد]

يحيي : سلامٌ على ابنـــةِ عالى السنـا

سـلامٌ على الحسب الراسخِ

على الفضلِ والنبـل والمكرماتِ

على العـقلِ فى أُفقـــه البـاذخِ

العباسة : عليكَ الســـلامُ ، فهلاَّ جلستَ

فأنى أَراكَ أبى مُتْعَبـــــا

يحيي : وفدت إليــكِ وبى وَعْكَةٌ

طغتْ وتخِذتُ الدُّجي مركبا

لأمرٍ أراهُ جليلَ المكانِ

العباسة : أبي فتحدَّثْ وقصَّ النبا

يحيى : لنا - قد علمتِ - مئاتُ الخصومِ

مُناهم من العمْرِ أن نُنكبا

رموْنا بأكذب ما لفَّقوه

ومن هانَ لم يخشَ أن يكذبا

العباسة : أبي ؛ إنه حسدٌ واغرٌ

ومن ذمَّ عن حسدٍ أسهبا

يحيى : صدقتِ ، ولكن صفيُّ الملوك

مُضاعُ الدماءِ إذا ما كبا

تُقال لديهم ثِقالُ الذنوبِ

ولا يُستقالُ[1] إذا أذنبا

ويقضى لياليَه حائراً

أأرضى فأفلحَ ، أم أغضبا

(١) لايقبل عذره .

وكم ثاقبٍ من ثقاةِ الملوك

فما قيلَ ضوّأَ حتى خبا

العباسة : أبى ؛ إنَّ فى حكمِكم ثُغْرةً

وإنَّ لأعدائكم مذهبا

وقالوا جمعتم شئونَ البلادِ

بأيديكمو ما تركتم هَبا

وقالوا الوزارةُ فى بيتكم

فما رمتمو غيرَها مطلبا

يورّثها والدٌ لابنِهِ

أما غيرُ برمكَ من أنجبا ؟

يحيى : وما ذنبُنا أن نصحنا الملوكَ

فأدنى الملوكُ لنا المَنْصِبا

العباسة : أبى كنتَ أكيسَ من عالج

الأمورَ وأحزم مَن جرّبا

ولكنَّ من طبَّ (١) أدواءَهُ

نبا عنه من رأيهِ ما نبا

ألم ترَ بيتَك عزَّ (٢) البلادَ

وقرَّ على مَتْنِها واحتبى

وحُكِّمَ فى أهلِها أجمعينَ

فأَبعدَ من شاءَ أو قرَّبا

يحيى : [في أسف] رأيتُ وما كنتُ فيما رأيتُ

مُقلِّبَ رأيٍ ، ولكنْ أبا

العباسة : حجبتم عن الناسِ وجهَ الرشيدِ

وما ذاك بالعملِ الحازمِ

لئن خِفْتمو أن يَرى غيرَكم

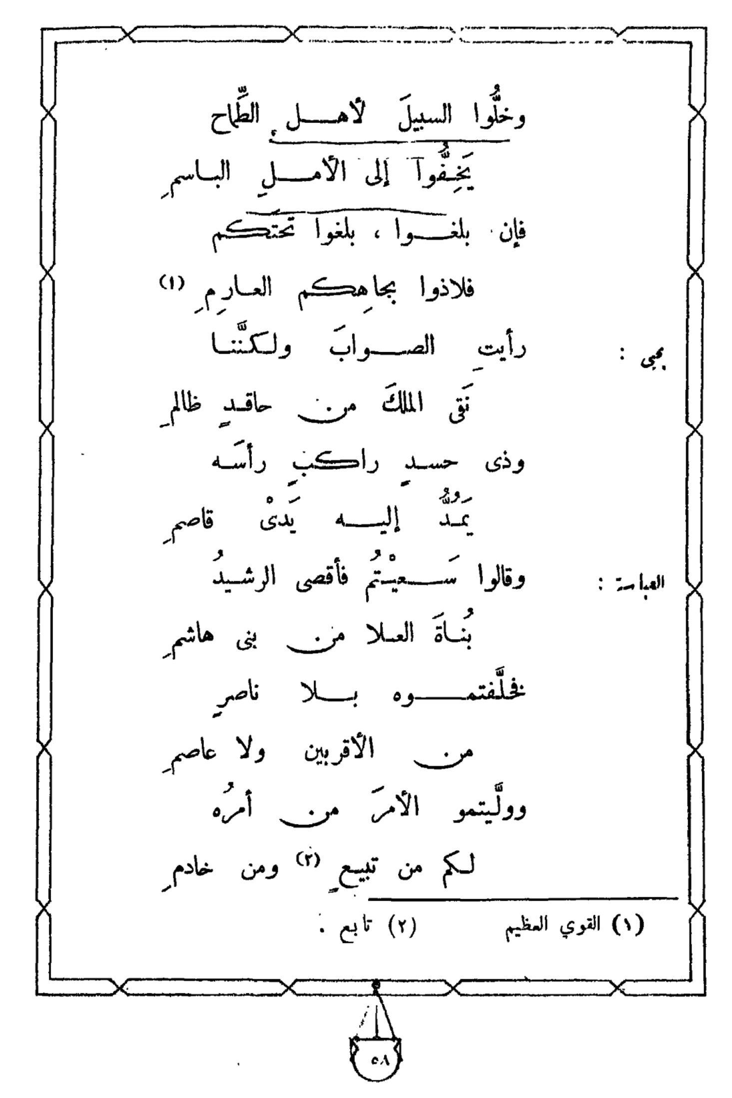
فأنتم على قلقٍ دائمِ

دعوا الناس تَسْمُو أمانيُّهم

وأمالُهم لغدٍ ناعمِ

---

(١) عالج (٢) غلب عليها .



وخلّوا السبيلَ لأهلِ الطِّاح
يَخِفُّوا إلى الأملِ الباسمِ
فإن بلغوا ، بلغوا تحتكم
فلاذوا بجاهِكم العارِمِ (١)

يحيى : رأيتِ الصوابَ ولكنّنا
نَقِى الملكَ من حاقدٍ ظالمِ
وذى حسدٍ راكبٍ رأسَه
يمُدُّ إليه يَدَىْ قاصمِ

العباسة : وقالوا سَعيْتُم فأقصى الرشيدُ
بُناةَ العلا من بنى هاشمِ
تخلّفتموه بلا ناصرٍ
من الأقربين ولا عاصمِ
وولّيتمو الأمرَ من أمرُه
لكم من تبيعٍ (٢) ومن خادمِ

(١) القوي العظيم (٢) تابع .

عَدَلْتُم ، ولكن سَتُرْتُمْ لهم

بوادرَ من لَمَمِ (١) الآثمِ

يحيى : لقد طالما جال ما تذكرين

وطاف بنفسى فقدّرتُهُ

وكنتُ إذا جئتُه مُنْفِذاً

تأبَّى علَّ فما اسطعتُهُ

العباسة : وكيفَ أبى ؟

يحيى : سائلى جعفراً

فقد طالما دكَّ ما شِدْتُهُ

وكم قلتُ هذا وأمثالَه

فزال مع الريحِ ما قُلتُهُ

يرى جعفرٌ أن رأى المَشيبِ

خبا ضوءُه ومضى وقتُهُ

---

(١) صغار الذنوب .

العباسة: عجبتُ لجعفرَ وهو الأريـ
ـبُ كيف نبا ذاك عن فِطْنَتِهْ

يحيى: بلى ؛ إنها بَدَواتُ [1] الشبابِ
إذا بلغ الأوْجَ من سطوتِهِ

العباسة: ولكنه عبقرىُّ الزمانِ

يحيى: سيبلو الزمانُ مدى قدرتِهِ

[مستطرداً] سأذكر ما جئتُ من أجله
وأروى الحديثَ على علَّتِه
وعندك تُرْجَى وُجوهُ الهدى
إذا انحرف الرأى عن وجهته
أرى الفَضْلَ [2] يُحْصى على جعفرٍ
مآخذَ تَقْدَحُ فى حكمته
وجعفر يذكر أمثالَها
ويُحْصى دلائلَ من جفوته

---

(١) البدوات هي الاراء السريعة (٢) الفضل بن يحيي أخو جعفر .

وكيف نصول بأعدائنا

إذا الأخُ صال على إخوته

العباس: عرفتُ، أبى، كلَّ ما سُقْتَه

وقد أنزِع الداءَ من منبِتِه

فدع لى الوزيرين أجمعُهما

على رَفْرَفِ[1] الود فى نضرته

يحيى: [بعد لحظة سكوت] ولو قد أشرتِ إلى جعفرِ

عساه يثوب إلى نُهيته

رأى عطفَ مولاه رَحب الرُّواقِ

فلجَّ وأمعن فى جرأته

[فى هدوء خطير]: أخاف عليه جُموحَ الدلالِ

فقد ما رمَى الناسَ عن صَهوته

وذو العقلِ إن نال عطفَ الملوكِ

سما وتعفَّفَ فى حُظوته

(١) البساط.

العباسة : أصبْتَ ، أبى ، ذاكَ وحْىُ النُّهى

وشعْشاعُه فى زُهَــا حُلَّتِهْ

فلا تَبْتَئِسْ سوف أَهدى الوزيرَ

سبيــلَ التحرُّرِ من نزوتـهْ

[ثم تقول ضاحكة فى حياء]

فإنْ هو لم يَنْتصِـحْ عن أبيـه

فقـد يقبلُ النُّصْحَ من زوجتــهْ

يحيى : [في توقير] تعاليتِ ، بل عبدُ أخت الرشيــد

وإن كـان ضُمَّ إلى أُسرتـهْ

العباسة : معــاذَ الوفا ، إنه سيِّــدى

ولستُ الغــداةَ سوى حُـرَّتـهْ[1]

ســأرعى بنى برمكٍ فاســترحْ

يحيى : رعى اللهُ مجــدَكَ فى ضَحْوتـهْ

ومدَّ عليــك ظلالَ الشبابِ

وأضفى عليــك حُلى نعمتـهْ

[يخرج يحيى]

(١) زوجته .

المشهد السابع

[يدخل جعفر بعد خروج يحيي ، ويكون دخوله من باب كان مقفلا ولم يكن قد استعمل بعد . يندفع مشتاقا الى العباسة]

جعفر : [في لهجة العاتب] طال الحديثُ

العباسة : أكنتَ جئتَ وهل سمعتَ؟

جعفر : أجل سمعتُهْ

العباسة : [في تدايل] أوَعى الوزيرُ خبيئَهُ؟

جعفر : قسماً بحبِّك ما فهمتُهُ

قلبي لديك تركتُه

العباسة : [في دلال] أجئتَ تطلُبُهُ

جعفر : ثَكلتُهْ

أأذودُه عن روضه الحالي ! إذنْ فلقد ظلمتُهُ

وأردُّه عن قدسِ هيكله ! أثمْتُ إذا رددتُهْ

وأصدُّه عن وِرْدِه الصافى ! تَشَاهَق[1] إنْ صددتُهْ

[يحتضنها ويقول مداعبا]

أتراه فى هـــذى الغلائلِ ؟[2]

العباسة : [فى مرح] هل وجدتَ ؟

جعفر : فمـــا وجدتُـهْ

يا نورَ عينى ، ياربيعَ القلب ، يا قُدسًا عبدتُـهْ

أهواكِ ألوانَ الهوى حتى جفاكِ فقد عشقتُه

العباسة : يا مُنيـــةَ النفسِ ما نفسى بناجيـةٍ

وقد سَعَرتَ بهـــا وجدًا وبلبـالا

أهواكَ مُصطخبا كالـيمِّ مُضَّطرباً

ومُتْرَفًا فى مغـانى الحىِّ مُختـالا

أهواكَ تَغْشَى الردى فى جحفلٍ لجِبٍ

تَرمى بأبطاله فى الروْع أبطالا

(١) اضطرب (٢) الغلالة الثوب الرقيق .

جعفر : يا عِـدْلَ[1] نفسى تَظَلُّ الروحُ ظامئـةً
حتى تراكِ فتلقى الرِّىَّ هطّـالا
أهواكِ فى كلِّ أشكالِ الحياةِ هوًى
قد خامر النفسَ ألوانا وأشكالا

العباسة : أهــوَاكَ قِيَمَ دُولاتٍ تُصرِّفُهـا
وتَقْـدُم الخَلْقَ سُوَّاساً وأقيـالا[2]
أهواكَ فى ثَبَجِ الدنيـا وزحمتِـها
عُطْلا من الجاهِ .. لا مجدًا ولا مالا
أهواك زوجًا بعيـدَ الدار دانيَـا
ما نلتُ من قربه حظًّا ، ولا نالا
وما حَرَمتُك إلَّا اجهشَتْ كبـدى
واغرورق الدمعُ فى عينىَّ وانثالا[3]

جعفر : أهواكِ جنـةَ أحْلامى لَعِـبْنَ على
أفنانِهـا الخُضْرِ أسحارًا وآصـالا

(١) عدل الشيء نظيره (٢) جمع قيل وهو الملك (٣) هطل وسال.

أهواكِ هيكلَ تسبيحى أُطيفُ به
فتُشرقُ النفسُ تقديسًا وإجلالا
تجولُ عيناكَ فى روحى فَتُلهبها
شوقا ، ووجـدًا ، وآلامًا ، وآمالا
قد كان حبُّكَ أغلى ما نَعِمْتُ به
وكان أكرمَ أعلاقى [1] وما زالا

[يأخذها جعفر الى أريكة عربية بالقرب من الشرفات المطلة على دجلة ويجلسان عليها جلسة ثائرة].

[تهذب الانارة فيشيع فى المسرح جو عاطفى رائع . ويسمع من بعيد صوت ناى أحد الملاحين بدجله]

جعفر : بين الجوانحِ قلبُ مُدلَّهٌ بكِ صبُّ
يعطو [2] إليكِ ويهفو فان دجى الليلُ يصبو
محلأٌ [3] عنكِ صادٍ والوِرْدُ ملآنُ عذبُ
هواكِ لى حين أغفو جوًى ، وحين أهبُّ
العباسة : فما نوى البَرحَ بعيدٌ ولاشفى الوجدَ قربُ

(١) النفائس (٢) يمد عنقه (٣) مبعد عن الشرب .

لما لقيتك رنت نفس وصفق قلب

جعفر : وعربدت صبوات بين الضلوع تدب

ترى أفى الصدر نار أم فى طواياه حب؟

هذا يشب فيضرى وتلك تذكو فتخبو

العباسة : ولامنى فيك قوم منهم عدو وصحب

جعفر : قالوا فما أنا كفء وأين عجم وعرب؟!

فقلت ياقوم أنتم عن شرعة العدل نكب(1)

ليس الكفاءة مجداً إن الكفاءة حب

أقسمت بالبيت تخدى عيس له وتخب

أعناقها مهطعات(2) لقدسه تشرئب

والمحرمون عليها ساقوا وألقوا ولبوا(3)

لأنت حلمى المرجى فى خاطر الدهر يحبو

العباسة : وأنت كنزى وكنز الحصان زوج محب

---

(1) مبتعدون (2) ممتدة ومرفوعة

(3) ساقوا الهدى وألقوا الجمار وهى من مناسك الحج.

إذا عَدَتْكَ العوادى   فأنتَ لى الدهرَ حَسْبُ

[فى انفعال]   يا قُدْسَ أحلامى

جعفر :   لبيكِ لبيكِ

هذا دمى القانى   قد زانَ خدَّيْكِ

عيناكِ عيناكِ !

العباسة :   ما خطبُ عينىَّ

جعفر :   قد صَبَّتا نارا   ما بينَ جنبىَّ

أشكو لمن بىِّ !؟

العباسة :   ما أظْلَمَ الشاكى

جعفر :   أبكيتِنى دهرى

العباسة :   أفديك من باكِ

[مستطردة]   لا تَسْتثرْ همِّى   فالليلُ فرحانُ

ما أعذبَ النجوى   والشوقُ نشوانُ

جعفر :   من رَقْرَقَ الخمرا   فى ثغرِك الباسمْ !؟

العباسة : [فى تدليل] من أَوْقَدَ الجمرا   فى وجدِكَ الحالمْ !؟

في ثغرِكَ العادى ذئبٌ قد استشرَى

جعفر : في عينِك الوسْنى عِربيدةٌ سكرَى

في عطرِكِ الغاوى حَفْزٌ وإغراءُ

العباسة : في وجهكَ الضارى سُحْبٌ وأنواءُ

[يسمع من بعيد أذان الفجر فيترك بعضهما بعضا]

[مستطردة في ذهول] استيقظَ الفجرُ

جعفر : [في فزع] لا تَذكرى الفجرا

يا ليلُ فاستأْنْ واسْتنفِدِ العمرا

يا دِجلةُ ابكى لى إنى رقا (١) دمعى

أسوانُ محرومٌ والرىُّ فى نبعى

العباسة : [في حدب] امض ولا تيأسْ كل غدٍ حبٌّ

جعفر : [في حدة عاطفية ويدفعها الى وسط البهو مبتعداً عن الباب] :

آليتُ لا أمضى كلُّ غـدٍ غيْبُ

إنى غداً ماضٍ للحربِ أَصلاها

(١) نضب .

إن مِتُّ محروماً

العباسة: ناشــــدتُكَ اللهَ

جعفر: [مستطرداً في تبرم] هـذا الذى نلقـاهُ ظُلمٌ لم يَحُـلْ

للظلمِ فى خَلَدٍ فـدكَّ قُوانا

والظلمُ فى ألوانِه كُرْهٌ (١) فإنْ

شَفَّ الحَلالَ السمْحَ كان هَوانا

العباسة: [فى اشفاق] يا جعفــرُ استعْصِمْ بحلمِك

جعفر: [فى حدة] إنَّ مِنْ

شرِّ المَذَلَّةِ أن أظَلَّ حليما

حَتَّـامَ ـ والعذبُ الطهـورُ مُذَلَّـلٌ

للزوج ـ أبقى المُبْعَدَ المحـروما

العباسة: [في حيرة] يارَبِّ أدركْنى بلطفِك واهـدنى

سَنَنَ السدادِ فقـد سألتُ كريمـا

---

(١) مكروه .

جعفر : [في حدة] هل تسألين الله فضلَ هـــدايةٍ

أأطعتِ ربَّك أم أطعتِ غَشوما ؟!

ليس الرشيدُ - وإن تَسَنَّمَ مجدُه

دَرَجَ السماءِ - مُبرَّأً معصـــوما

اللهُ أهـــدَى منهُ نهجاً بيَّن الـ

ـتَّحليلَ فيـــهِ وفَصَّلَ التحريما

عباسةُ استمعى لقلبكِ

العباسة : ما الذى

[في عتاب] تُلقيـه . ؟؟

جعفر : ردِّى حقِّىَ المهضـــوما

رُدِّيه أقْبـلِ الحياةَ هنـاءةً

ومُنًى ، وأنهـلْ نَضْرةً ونعـيما

العباسة : [في ضعف] عهــدٌ قطعنـا للرشيدِ

جعفر : قطعتُه

[في ثورة] كَـرْهاً فلستُ إذا نقَضتُ مَـــلوما

إنى ولائى للرشيد وطاعتى

ما دام للسمْحِ الحنيفِ مُقيما

فاذا نبا عن هَدْيه .. خالفتُه

وأبيْتُ ، أو كنتُ الغداةَ أثيما

العباسة : بهواكَ لم أمنعْكَ ما تهفو لهُ

إلا مخافةَ أن يُصيبَك سوءُ

جعفر : ما السوءُ إلاَّ أن أبيتَ على صَدًى

والورْدُ قدسىُّ الرحيقِ مَرِىءُ

العباسة : أخشى عليك الظلمَ أن تُمنى به

جعفر : اللهَ للمظلومِ وهْو برىءُ

العباسة : يا جعفرُ اصبرْ

جعفر : الحياةُ مُغِذَّةٌ (1)

والصبرُ فى ركبِ الحياةِ بَطىءُ

---

(1) مسرعة .

العباسة : إن التعجّلَ خِفةٌ

جعفر : بل حكمةٌ

العمرُ إن ولّى فكيف يجىءُ ؟

إنى سأشهدُها الغداةَ كريهةً

للموتِ فيها رَوْحَةٌ ومجىءُ

وعلىَّ من أعبائِها وخِطارِها

ما يَضْعُفُ الأقوى به وينوءُ

[في تهدج] فاذا قضيتُ فبين أضلاعى هوًى

باكٍ ، وقلبٌ بالعتابِ ملىءُ

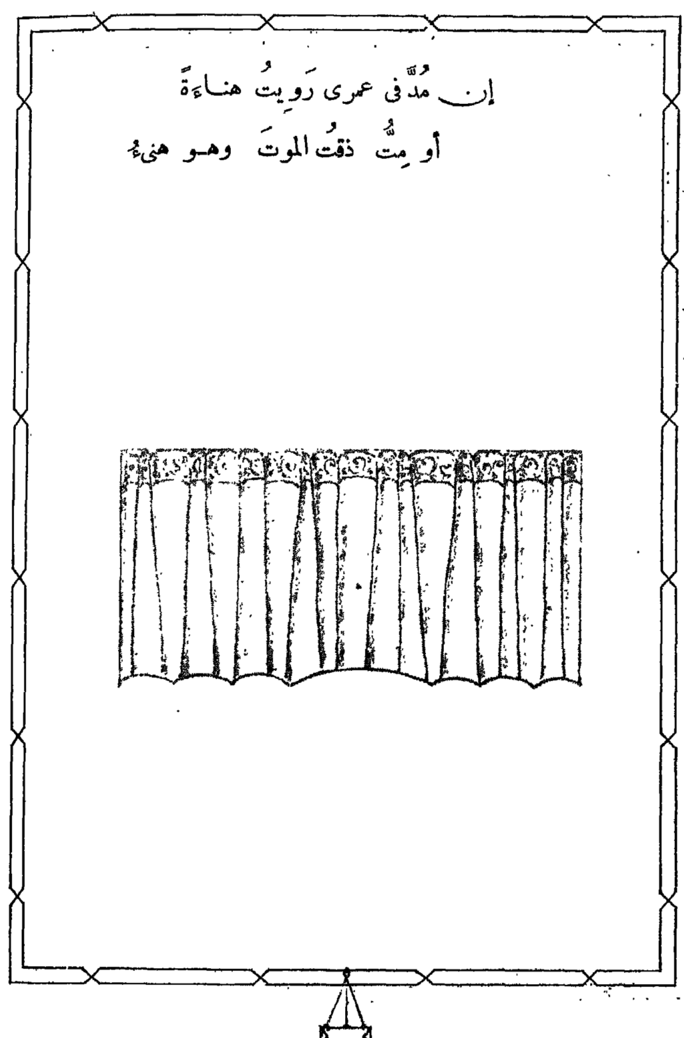
عباسةُ ! !

العباسة : استهلكْتَ جعفرُ مُنّتى (1)

[وهي تلقي بنفسها في أحضانه متخاذلة]

جعفر : الآنَ تُشرق لى المُنى وتُضىءُ

(1) قوتى .

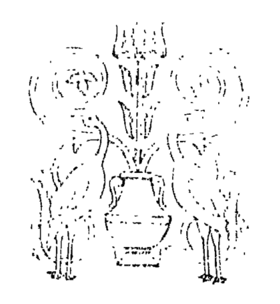


إنْ مُدَّ فى عمرى رُوِيتُ هناءَةً

أو مِتُّ ذقتُ الموتَ وهو هنيءُ



الفصل الثاني



الفصل الثانى

في قاعة العرش بقصر الخُلْد . وهو قصر الرشيد .

[ايوان متسع الأطراف فخم أنيق ، فيه أفخر الرياش وأثمنها . مجمّل بكثير من الآثار النفيسة . . والتحف الفنية . وفى صدر الايوان عرش ضخم أنيق للرشيد . الوقت بعد صلاة العصر] .

المشهد الأول

[خلوب وبذل وريّق وصيفات زبيدة ينسقن الايوان . وهن منهمكات]

خلوب : لحاكِ اللهُ يا بذلُ استعدّى

لتأنيبِ

بذل : عَدِمتُك يا خَلوبُ

أأُفنى قوّتى وأُذِيب جسمى

وأُلحَى ! إنّ ذا أمرٌ عجيبُ

ديوم : أجل تُلْحَيْنَ ما فى ذاك شكٌّ

وإن أَنحى فأقعدكِ اللُّغوبُ (١)

وهل تُحصَى الغداةَ على الموالى (٢)

لدى ساداتِهم إلا الذنوبُ

ضلوب : وما تلك الذنوبُ سوى هَناتٍ

وفى ساداتِنا تفشو العيوبُ

ديوم : كبائرُهم لهنَّ مُبرراتٌ !

وأيسرُ ما نُلمُّ به مُريبُ

بذل : تُذال خدورُهم فيُقال عفُّوا

ونمنعُ عرضَنا فيُقالُ توبُوا

ضلوب : وأكبر جرمِنا يا بذلُ أنَّا

ضعيفاتٌ نُصابُ فلا نُصيبُ

بذل : [فى تهكم] مُفلسفةٌ تُحيطُ بكلِّ فنٍّ

فليس لها ببغدادٍ ضريبُ

(١) الاعياء (٢) الأتباع

وتُسأَل عن أوان حطّمتها

فتبهت ، لا تردُّ ولا تُجيبُ

خلوب : دعى لغوَ الحديثِ وهنّئيني

فقد بلغَ الحمَى زوجى الحبيبُ

أتى فى جندِ جعفرَ فهو منّا

على قابٍ ، فموعدُنا قريبُ

ستسعدُ صبيتى وتَقَرُّ عينى

ويَغمرُ عشَّنا الأُنسُ السليبُ

أُحسُّ جوانحى تَنْدَى ، وقلبى

قد احتشدت تُهنِّئُه القلوبُ

فكم ليلٍ طويتُ ، وكم نهارٍ

قَضيتُ ، أقولُ ربِّ متى يؤوبُ ؟

ربوه : [في خبث] وما أعددتِ للّقيا ؟

خلوب :[في دلال] فعندى

له شوقٌ طغى ، وهوًى طَروبُ

وخدرٌ ضاحكُ الجَنَباتِ حالِ

بذل : ألا فاقْنَىْ حيـاءَكِ يا لَعوبُ

[يتضاحكن جميعا]

المشهد الثاني

[يدخل مسرور خادم الرشيد الخاص وقهرمان القصر]

مسرور : أما تَكُفُّنَّ لغواً يا لَلنساءِ المَهاتِرْ(١)

فهل فرغْتُنَّ ؟

بذل : فانظرْ

مسرور : [في تجهم] أجَلْ ، فإنِّى ناظرْ

ضلوب : تلك الأرائك قُمنا بصفِّها ، هل تُكابرْ ؟

وراقداتُ الحشايا(٢) وقائماتُ الستائرْ

ديمه : وحاملاتُ الأوانى وحاضناتُ الأزاهرْ

مسرور : [في عناد] بل ما صنعتُنَّ شيئاً

الوصيفات جميعا : يا لَلْحظوظِ العواثرْ .

---

(١) المهاتر : اللواتي ذهب عقلهن (٢) الوسائد .

بذل : يظنُّها قد أُعِدَّتْ هنا بقدرة قادرْ

طروب : كلَّا ، فهذا شقانا وجَهْدُنا المتآزرْ

مسرور : أيواؤكنَّ حرامٌ

ديمه : خسئتَ

مسرور : يا للَفواجرْ

طروب : [في تعالٍ ومرح] من ذا تُخاطبُ؟ قل لى

مسرور :[فى استهزاء] النيِّراتِ الحرائرْ

[يتضاحك الجمع]

[وتلتفت الوصيفات الى الأبواب ليتحققن من أن أحداً لا يسمعهن]

ديمه : [لمسرور] ماذا وراءَكَ ؟

مسرور : أمرٌ تَحارُ فيه البصائرْ

مواكبٌ مائجاتٌ مثلَ البحارِ الزواخرْ

تَضيقُ بغدادُ عنها بغدادُ أمُّ الحواضرْ

يَمشى الخَليفةُ فيها بين السَّراةِ الأكابرْ

وخلْفَه تَتَهادى قبائلٌ وعشائرْ

والجُندُ ما بين رَجْلٍ أو فى مُتونِ الضوامرْ(١)

والناسُ تَسعى أُلوفاً

عاشوا عبيدَ المظاهرْ

ربيعة : هل حلَّ بغدادَ كسرى أم طالعتْها القياصرْ؟!

[يسمع هتاف من بعيد]

مسرور : [مستهزئا] علا الهُتافُ ودوَّى

بذل : ذاكَ النفاقُ المُجاهرْ

طلوب : إنى لأَرثى لقومى عقولُهم فى الحناجرْ

مسرور : إن نال جعفرُ نصراً فليس أوَّلَ ظافرْ

إن الأمورَ لتجرى على خلافِ النَّظائرْ

أُحسُّ نَزْوةَ عادٍ فيها ، وثورةَ ثائرْ

---

(١) المشاة والفرسان .

ديوه : ما للخليفةِ أغفى عنه ؟

مسرور : . . . صَه

ديوه : أهوَ ساهرْ ؟

مسرور : مولاتُنا أنذرته فباتَ وهْو مُحاذرْ
وفى زبيدةَ عقلٌ راسٍ، ورأىٌ مُداوِرْ

ضاوب : البرمكيةُ تَطْغَى تغزو وتَنْهى وتامرْ
إنجيلُها فى اختصارٍ ترقُّبٌ وتآمرْ

مسرور : ورِشوةٌ للبرايا بالمالِ أو بالمآثرْ
[فى نظرة خطيرة] أكادُ ألمحُ يوماً تُبلَى لديه السرائرْ
تَدورُ فى طَرفَيه على البُغاةِ الدوائرْ

[يخرج مسرور]

المشهد الثالث

ضاوب : [وهى تنظر الى الخارج] هــذه مولاتُنا مُقبِلةً
فى القَوامِ اللَّدْنِ، والحُسنِ المُنيفْ

تَتَهادى بين أعطافِ الصِّبا
بين ثِنْتين . . عدوٍّ وحليفْ
بذل : ومن ذاك الحليفُ فدتك نفسى ؟
زبيدة : سُكَيْنَةُ بنتُ فضلِ بنِ الربيعِ
أبوها خصمُ جعفرَ فهو يهفو
ليَخْلُفَهُ ، وليسَ بمُستطيعِ
[تدخل زبيدة . وعُلَيَّة بنت المهدي . وسكينة بنت الفضل بن الربيع]
زبيدة : [للوصيفات] هل دنا الموكبُ ؟
الوصيفات : لا لم يدْنُ
زبيدة : فانظرْنَ وقُلْنَا
[تُطل الوصيفات من النوافذ]
[مستمرة] قيل قد أضحى من القصرِ قريبًا فقَدِمنا
خلوب : لم يَلُحْ بعد فلو قد شارَفَ القصرَ شَهِدْنا
زبيدة : موكبٌ قيلَ مشت بغدادُ فيه تتَغَنَّى
برزت خيلاً ورجلاً ، وبدت إنسًا وجنًّا

سكينة : سِفْلَةٌ[1] ضجَّتْ ، ولا تَعرفُ للضَّجة معْنى

زبيدة : بل سعى مولاكِ فيه

سكينة : [في استغراب] ما رأينا أو سمعنا

عاهلٌ يخرجُ عن بغدادَ لا شيءَ يَعوقُهْ

في جموعٍ سار فيها أرْؤُس الملك وسوقُهْ[2]

ويسوقُ الخلْقَ كالرملِ إذا الريحُ تَسوقُهْ

ليرَى قائدَ جيشٍ عاد والحظُّ رفيقُهْ !

زبيدة : [في خبث] إنه جعفرُ لا تَنْسَ أخوهُ وصديقُهْ

علية : [في حدة يسيرة] وفتى المُلك إذا غُمَّتْ على المُلكِ حقوقُهْ

ناصرٌ مولاه بالسيفِ وبالرأيِ يسوقُهْ

وبحزمٍ إنْ خبا النجمُ فلا يخبو بريقُهْ

وبودٍّ من صميمِ القلبِ لا يَذْوى وريقُهْ[3]

وبعهدٍ مُحْكَمٍ في الله لا يَبلى وَثيقُهْ

---

(١) الغوغاء (٢) أرؤس جمع رأس ، والسوق جمع ساق . والمراد كبار القوم وصغارهم.
(٣) الوريق هو المورق .

زبيدة : عُلَيَّةُ ، قَـدْكِ ولا تُسرفى
فى ما تقـولين بعضُ السَّرَفْ
فجعفرُ فى وزراءِ الرشـيدِ
هو الدرُّ والآخرون الصدفْ
وأبعـدُهم غايةً إنْ جرى
وأحكمُهم موقفاً إنْ وقفْ
ولكنَّهُ طامحٌ مُترَفٌ
وقِدْماً هوى بالطُّموحِ التَّرَفْ
ويَهدِفُ للأمرِ قبلَ الأوانِ
ولَوْ قد تأنَّى أصابَ الهدفْ
وإنَّ الصِّبا مَركبٌ موبِقٌ
أغذَّ (١) بأهل الصِّبا فانحرفْ
إذَا الجَدُّ أدركَهُ يافعاً
أخو المَجْدِ ، خيفَ عليه الصلفْ(٢)

---

(١) أسرع (٢) الكبرياء .

وَهلْ يَأْمنُ المجدَ إلاَّ فتَى

إذا نال كفَّ وإنْ همَّ عف

عرضْتِ لناحيــةٍ فى الوزيرِ

لعــلَّ الخليفـةَ أدرى بِها

فجَعفرُ راضَ (١) أُمورَ البــلادِ

وأَوْفى علَى كُنْهِ أعقَابِها

أداةُ الخــلافةِ فى المَشْرقيْن

خبيرٌ بِها وبأَوصابِهــا (٢)

فَمنْ حاسِبِها وكُتَّابِهــا

إلى آذنيها وحُجَّابِهـــا

يكاد يرى خَلجاتِ النفوسِ

ويسمعُ هَسْهَاسَ (٣) آرابِهــا

ويعلمُ مَنْ مِن وُلاةِ الثغورِ

أضَاع صوالحَ أسرابِهـــا

---

(١) ذللها ومهدها (٢) عللها (٣) الهسهاس : حديث النفس ووسوستها

وَمَنْ مانعٌ سَرْحَها[1] مُشفقٌ
عليها مُعِزٌّ لأحسابِها

زبيدة : صَدقْتِ، وَلكن هُناكَ الهوَى
وميلُ النُّفوسِ لأحبابِها
أخوكِ يرَى جعفراً كالهواءِ
وكالشمس، لا عيْشَ إلاَّ بِها
يَظُن خِلافَتَهُ جَنَّةً
وجعفرَ قيِّمَ أبوابِها
إذَا غابَ لم يُلْفِ فى مُلكهِ
سِواهُ فتًى داهياً نابِها

سكينة : فكيف إذا بَغَتاتُ الردى
ألحَّتْ عَليهِ بأنيابِها؟!
وكيف إذا انتقضتْ فارسٌ
وَلاذَتْ لَدينَا بأقطابِها؟!

(١) المال السائم .

أيبـــذُلُ نصرتَه جعفرٌ

لأربابِه ، أمْ لأربابِها ؟

علية : [في ازدراء لسكينة] كَلامُ أبيكِ الذى نسمعُ

وقد طالما مَجَّهُ المِسْمَعُ

يُزخرفُ للنَّيلِ مِنْ ثاقبٍ

له فوقَ هامِ السُّها مطلعُ

شأَى الناسَ لِلمَجْدِ ، لَمْ يَلْحَقوه

فكان التفاضُل أن يَتْبعوا

زبيدة : [في حدة] وهل مجدُه صُنْعُه !؟

علية : لم أقلْ

فإن الرشيدَ الذى يَصْنعُ

يرى الألمعىَّ فَيَعْنَى بِهِ

فيلمعُ فى الكونِ ما يَلْمعُ

زبيدة : [في حدة أشد] ولكنَّهُ يتحدَّى الرشيدَ

فَيَبْنِى الرجالَ وَيستصْنِعُ

لمجـــــد ذَويهِ وَسُلطانِهم
يُعَزُّ وَيُرفعُ مَنْ يُرفعُ

لقـد خدعوهُ بِضخم الثنـــاءِ
عليّة : وهل مثلُ جعفرَ من يُخدَعُ !؟

زبيدة :[مستطردة] يُمسّيه مَرْوَانُ بالتُّرّهاتِ
وبالمَيْنِ يُصبحُهُ أشْجَعُ (١)

[تقرأ من ورقة تخرجها من صدرها في شيء من الاهتياج]

« يُريد الملوكُ مدى جعفرٍ
ولا يصنعون كما يصنعُ (٢) »

« بَديهتُـهُ مثـــلُ تدبيرهِ
متى رُمْتَهُ فهو مُستجمِعُ (٣) »

[ترمي بالورقة فتلتقطها سكينة]

رياءٌ لعمــرُ أبي كُلُّه
وزورٌ يَضُرُّ ولا ينفـــعُ

---

(١) مروان بن أبي حفصة وأشجع السلمى وهما من شعراء الرشيد .
(٢) ، (٣) من شعر أشجع السلمى .

سكينة : غَداً يَستفيضُ كريمُ الثناءِ
ويكثُرُ راوٍ ومُستَمِعُ
قوافٍ تُخَلِّدُ فَتحَ الفتوحِ
فَلا راءَ كسرى ولا تُبّعُ
وما دانت الشامُ لابنِ الوليدِ
كما ربَّها (١) الفاتحُ الأروعُ
زبيدة : وهل كان بالشامِ غير الشِّقاقِ !
وكلُّ شقاقٍ له مَقْطَعُ
يمانيَّةٌ ونِزاريَّةٌ (٢)
وبَيْنَهما رَحِمٌ تَجمعُ
ولو أنَّهُمْ تَركوا ، راجعوا
الأناةَ ، وعَنْ جهلِهم أقلعوا

---

(١) غلبها واستعبدها (٢) فى سنة ١٨٠ هـ هاجت العصبية بالشام وتفاقم أمرها فاغتم الرشيد ، وعقد لجعفر على الشام وقال اما أن تخرج أنت ، أو أخرج أنا ، فشخص فى القوادوالسلاح فأصلح بين الناس وقتل المتلصصة منهم . فعادوا الى الامن والطمأنينة . وهدأت الثائرة التي شبت بين اليمانية والنزارية ولما عاد جعفر من هذه المهمة ازداد الرشيد له اكراما واستشفع جعفر لأهل الشام فعفى الرشيد عنهم. «باختصار عن الطبري والمسعودي» .

[مستطردة] ومن سنواتٍ ثلاثٍ مضيْنَ

تَفـاقَمَ فى مصرَ أمْرٌ جَلَلْ

فَهَبّتْ إلى الخيـلِ والمُرْهفاتِ

فلا حَيَّ إلا اكتَوى واقتتـلْ

تَرِفُّ السيوفُ ، وتَجرى الحتوفُ

وتَنْضى الظُّبَى[1] ويُهَزُّ الأسَلْ[2]

وخيفَ على الملكِ مِنْ فِتْنَةٍ

تَهيجُ عَلَيْـهِ عداءَ الدولْ

فَسارعَ هرثمـةٌ فاهتدَى

لمعوجِّهـا ، فأقام المَيَلْ

وأَدَّبَهُـمْ صارِماً عادلاً

وخيرُ الولاةِ قوىٌّ عَدَلْ

سكينة : وعادَ ، فَما قِيـل عاد الهمامُ

وجاءَ ، فما قِيـل جاءَ البطلْ

---

(١) السيوف (٢) الرماح .

ولم تدرِ بغدادُ عن جيشهِ

أليلاً أتى ، أمْ صباحًا قفلْ !

المشهد الرابع

[تدخل بذل مهرولة]

بذل : سيِّدتى ؛ مولاتُنا العباسهْ

زبيدة : [فى حقد ثم تتمالك] ويكِ ! وهل تَسْتأْذنُ العباسهْ ؟

سكينة : [للوصيفات] فَلْيُحصِ كلُّ أحدٍ أَنفاسَهْ

[تدخل العباسة فى أجمل حللها وزينتها]

زبيدة : [وهى ساعية لها فى مجاملة]

مرحبًا بابنةِ الشُّموسِ نماهُم

باذخٌ مِنْ أبوَّةٍ وجدودِ

بالصِّبا ، بالجلالِ ، بالخَفَرِ النشـ

وانِ يَنْدَى فى البانةِ الأُمْلودِ

بالجمالِ المُختالِ تَلْتَذُّه العيـ

ـنُ جديداً فى كلِّ يومٍ جديدِ

العباسة : يا ابنـــةَ العمِّ لا تَهيجى غرورى

زبيدة : رَضِىَ اللهُ عن غُرورِ الغيدِ

سكينة : [من عند النافذة] ظهر الركبُ من بعيدٍ وقد يَبْـ

ـلُغ أَدنى القصورِ غيرَ بعيـــدِ

تلك فُرسانُه تَســـيرُ الهُـــوَيْنَى

بين صفَّينِ مِن قَنًا وبنـودِ

زبيدة : جئتِ عباسةٌ لكى تَشهدى الركـ

[للعباسة فى خبث] ـبَ وتَسْتعرضى قُفولَ الجنـــودِ

وهى تَنْســـابُ فى رُواءٍ سَنِىٍّ

وطرازٍ مِن الجلالِ فريدِ

وعليها زينُ الشَّبابِ ابنُ يحيَى

مُشرِفَ الرأسِ مُشْرَئِبَّ الجِيدِ

قد تناهى مجدُ الزمانِ إليهِ

واحتَـــبى فى لوائهِ المعقـــودِ

العباسة : إنما جئتُ أَشهدُ الموكبَ الضَّخْـ
ـمَ تَراءى فيـهِ جـلالُ الرشيدِ
الرشـيد ، الذى تَفَـرَّدَ بالتَّسـ
ـويدِ بين الملوكِ والتَّمجيـدِ
والحجى والبيـانِ والنَّظرِ النَّا
فذِ والسَّرو[1] والسُّموقِ[2] المديدِ
والذى يَبعَثُ الجيوشَ فلا تُنْـ
ـصَرُ إلا بِعزمِـهِ المحشـودِ
كلُّ ذى دولةٍ لديهِ وجاهٍ
مُستظِـلٌّ بظِـلِّهِ الممـدودِ
قابِسٌ منـه ، آخذٌ عنه بالنقْـ
ـلِ فُنونَ التَّسديدِ والتجويدِ
زبيدة : [لسكينة في حقد] مَلِكٌ أرهب المـلوكَ وأغنى
عن حسودٍ يُغرَى بهِ ، وحقودِ

(١) المجـد (٢) الارتفاع .

[ثم تبعد قليلا عن العباسة التي تقترب من عُليـة
وتتجهان بنظرهما الى النوافذ المطلة على الموكب]
[وتستطرد زبيدة قائـلة لسكينة فى مرارة]

تَركَ الأمرَ للذى يَمْلِكُ الأمـ
ـرَ وَيقْضِى فى أوليـاءِ العهــودِ
فِتْنَـةٌ شبَّهـا ابنُ يحيِ ستَغْشى
آلَ بيتِ النبىِّ غـيرَ بعيـدِ
إنَّ فى العهدِ للأميرَيْن إيقـا
ظَ هوًى موبقٍ ، وخُلْفٍ مبيـدِ
وقضـاءً على العُروبةِ والعُرْ
بِ ، ودكًّا لصرْحِها المشـدودِ
ليس فى خارج العـراق عـدوٌّ
مُضمِرٌ غَـدْرَةً ببيت الرشـيدِ
تحتَ أبصـارنا ولم يَرَه بعـ
ـدُ عدوٌّ ذو عُـدَّةٍ وعـديدِ

لستُ بنتَ الأقيالِ من ولدِ الـ

ـعبَّاسِ إنْ لم أَسُمْهُ ذُلَّ العبيدِ

وأُذِقْهُ وقومَــهُ غُصصَ المو

تِ وعارَ التّيتـيمِ والتشريدِ

[تكون سكينة منذ برهة واقفة مع خلوب وبذل وريق ثم تتقدم الي زبيدة ضاحكة]

سكينة : [لزبيدة في خبث] تقول لى ريِّقُ يا مــولاتى

قولا تَلَقَّتْهُ عن الثِّقاتِ

يَدور فى مَجالِس السّاداتِ

وفى الحوانيت ، وفى الحاناتِ

زبيدة : إن الوزيرَ عاد بالمئاتِ

[فى مثل لهجتها] من أجملِ النِّسوةِ والبناتِ

مِنْ فارِسيَّاتٍ وروميات

ومغْرِبياتٍ وهنـــديَّات

علية : ذاك لعمــرى مَفْخَرُ السَّراةِ

زبيدة : بل إنَّها صغائرُ اللذّاتِ
يعتدُّها بطبعهِ المُواتى
أكرمَ ما فى هذهِ الحياةِ

علية : [فى تحد وقد لاحظت تغير العباسة] لعلَّها هديةُ الوزيرِ
مرفوعةً للعاهلِ الكبيرِ
إنَّ القيانَ زينةُ القُصورِ

[تغامز وضحك خافت]

[الوصيفات وسكينة يتحدثن حديثاً خافتاً]

زبيدة : ماذا تقُلنَ يا بناتُ همْسا
أفصحْنَ لا تخْشَيْنَ قط بأْسا

سكينة : تقدَّمى فاستأْذنى خلوبُ

بذل : مولاتُنا سميعةٌ تجيبُ

ربوه : وإنَّها المُفضِلةُ الوهوبُ

خلوب : [فى حياء] زوجى ، يعود اليوم بعد أشهرِ
مِنَ الشَّآمِ فى جنودِ جعفرِ

وددْتُ لو في منزلي ومعشري

وصِبيتي في حِضْنِيَ المُعطَّرِ

لَقيتُه في زينتي وزَهَري

تكرمةً للعائدِ المُظَفَّرِ

إن شئْتِ فَأْبَى ، أو رأيتِ فأمري

زبيدة : إليهِ في كلاءَةِ الرحمنِ

يومُكَ هذا فَرْحَةُ الزمانِ

ومنحةُ الحياةِ للحَصانِ

العباسة : [العلية كأنها لاتحس ما حولها] إن النعيمَ كُلَّهُ زوجانِ

بين الهوى والوجدِ يَمرحانِ

ومنزلٌ يَسعَدُ فيه اثنانِ

إن هانَ في الدورِ وفي المغاني

فإنه مِن غُرفِ الجِنانِ

[تبدو الأصواتُ المسموعةُ من الخارج أكثر وضوحا]

زبيدة : أظنُّ الركْبَ قد وافى ألا فلنبرحِ البهوَ

[تخرج زبيدة]

[وتلاحظ سكينة أن العباسة استوقفت علية فتقول للوصيفات همسا]

تعالَيْنَ فلنْ تؤمن في حضرتنا النجوَى

[تخرج وتخرج الوصيفات]

[العباسة تترك يد علية . وتخطو خطوات عصبية الي ناحية من نواحي المسرح]

العباسة : أيها القادمُ الذى شَغَفَ القلـ

سَبَ هواهُ . . هل عُدْتَ قبلَ احتراقِهْ

ظلَّ يفْنَى جُزءًا فجُزءًا فأدركْ

ما عفا البثُّ عنه من أرماقِهْ (١)

أيُّ زوجٍ فى مُلكِ هارونَ غيرى

تَجْرعُ الظلمَ فى أمرِّ مذاقِهْ

ذاكَ زوجى يعود فى موكبِ النّصـ

ـر كنورِ الصباحِ فى أشراقِهْ

(١) جمع رمق وهو بقية النفس .

يتنزّى قلبي إليه اشتياقًا
وهو مثلي يَنْماعُ [1] في أشواقِهْ
ويُلاقيه أهلُ بغدادَ طُرًّا
وأنا الزوجُ .. دونَهم لم أُلاقِهْ

علية : ليس هذا يَوْمَ البكاءِ نخلِّ الـ
ـهمَّ أُختاه ؛ وانشطى من وَثاقِهْ
واحمدى ربَّكِ الذى جمعَ الشمْـ
ـلَ وأَدنى المُشتاقَ من مُشتاقِهْ

العباسة : يا لمحزونةٍ يُساورُها الذُّلُّ
بأمضى وَشيجِه ، ورِقاقِهْ [2]
سُلبتْ نِعمةَ الحياةِ كأُنثى
فطواها الحرمانُ فى أعماقِهْ

[ثم تقول في حدة] يا ابنةَ المحْتبينَ فى صَهَواتِ الـ
ـمجدِ والقائمينَ فى أعناقِهْ

(١) يذوب (٢) بأمضى أسلحته ،

مَن أبوكَ المهدىُّ حُكِّمَ فى أقْـ

ـدارِ هذا الورى ، وفى أرزاقِـه !

وأخوكَ الرشيدُ لم تَسْكُبِ الشمـ

ـسُ حُلاها إلاَّ عـلى آفاقِـه !

لستِ مثلَ النساءِ من سُوقةِ النا

سِ ولا كالرقيقِ فى أسواقِـهْ

هو زوجى ولم أُزَفَّ إليـه

كان يومُ اللقاءِ يومَ فِراقهْ

قيل كفءٌ لو أنه كان يجرى

هاشمىُّ الدماءِ فى أعـراقهْ

ويحهم .. هل بنى بزينب زيدٌ (١)

وهو فى قصرِ هاشمٍ ورُواقِـهْ ؟!

[ثم يتهدج صوتها] لا أُبالى كفاءةَ الزوجِ إن لم

تَكُ فى فضلِه ، وفى أخلاقِـهْ

---

(١) زينب بنت جحش أم المؤمنين ومن قرابة النبي . وزوجها السابق زيد بن حارثة وكانت اشترته السيدة خديجة فتبناه النبي صغيرا وأعتقه .

رُبَّ حقٍّ لابنى ، ولى ، ولزوجى

أتُرانا نقوى على إحقاقهْ؟

علية : ويْكَ ! كُفِّى لاتذكرى الطفلَ فى القصـ

[فى حذر وتحذير] ـر فإن الرقيبَ فيهِ عتيدُ

كلُّ حقٍّ فيهِ يُشابُ بنقصٍ

حين يُروى ، وكل كِذْبٍ مَزيدُ

[تقترب الأصوات جداً . وتسمع هتافات مدوية من الخارج]

الهتافون : تَعيشُ فى نِعمةٍ وتحيا

تَعيشُ يا جعفَرَ بن يحيَ

العباسة : عُليَّة هذه صَيْحات قَومٍ

أحسُّوها الغداةَ فأرسلوها

علية : أجل ، فالصدقُ يكسوها وقاراً

وكم صَرخاتِ قوم زوَّروها

العباسة : [فى حرارة] بودِّى أن أقولَ لهم هلُمُّوا

إلى زوجِ الوزيرِ فهنِّئوها

تَعالوا بالبشائرِ حاليات
كأفوافِ الربيعِ ، فبشِّروها
فَلَيْسَ أحقَّ منها بالتَّهاني
وإن كَرِه اهلُها ، وأبى أخوها

[تخرجان]

[تقترب الضجات . ويسمع الصهيل وصليل السيوف فى وضوح وتتعالى الهتافات من الخارج]

هاتفون : يَعيشُ لِلْمجدِ جعفرْ
يحيا ويَنْعم جعفرْ

آخرون : زين الوزارة جعفرْ
رُكْنُ الخِلافَةِ جَعفرْ

آخرون : وَحائِطُ المُلكِ جعفرْ
وحارِسُ الدِّينِ جعفرْ

آخرون : مُصَرِّفُ الحرْب جعفرْ
وفَيْصلُ السِّلْمِ جعفرْ

يَعيشُ لِلْمَجـدِ جعفــــرْ

[ثم يسمع نشيد الجنود] نَفَـرنا لِلشَّـآم مُجـاهدينـا

وعُـدنا بِالفخـارِ مُتوَّجينـا

ندافِعُ عن حِمى الوطن المفـدى

ونمنعُ دينَ ربِّ العالِمينـا

فَمَنْ يسألْ بِنـا الدنيا فإنَّا الـ

ـغُزاةُ بنو الغُـزاةِ الفاتِحينـا

يسـيرُ بِنـا إلى المَجـدِ ابنُ يحـيي

ويرعانا أمـيرُ المؤمِنينـا

[أثناء هذا الهتاف من الخـارج تدخل الوصيفتان بذل وريق وهما تتسللان فى حذر شديد . تتلفتان الى الأبواب فى يقظة]

ريق : انظرى يا بذلُ هل فى مأْمَنٍ

نحنُ ، أم نُصْبُ عيونِ الرقعـاءِ ؟

بذل : من تَظُنـينَ هُنـا يرقُبنـا ؟

ريق : ويك ! هل بِالقصرِ غيْرُ الرقبـاءِ ؟

بذل : [في اضطراب وتعجل] أعطني الرُّقعــةَ أثبتْهـا على

عَرْشِ مَـوْلاكِ

ميوه :[وهي تخرج الرقعة من صدرها في حذر] خُـذيهـا فَضـعي

[بذل تأخذ الرقعــة وتتجه الى عرش الرشيد فتضعها بين وسادتين]

بذل : قـد فعلنـا ما أُمِرنا

ميوه : [وهي تسرع بالدخول] فادخـــلى

نرفعِ الأمرَ إليهـا . . أسرعى !

[تدخلان]

المشهد الخامس

[يدخل حرس الخليفة ايذانا بدخوله .

ثم يدخل الفضل بن الربيـع . ووراءه مسرور .

ثم يدخل الرشيد فى سواده . والي يمينه اسماعيل بن يحي . وجعفر بن الهادى .

ويحي بن خالد . وعلى يساره عبد الملك بن صالح وجعفر بن يحي .

ويدخل بعدم هَرثَمةُ بن أعين . والعباس بن محمـد رئيس شرطة جعفر

فى غزوة الشام . وشبيب بن حميد رئيس حرسه ومنصور النمري الشاعر]

الرشيد : [وهو داخل فى عطف واضح على جعفر]

شعورُ الشعبِ يا جعفرُ حقٌّ لا هوى فِيهِ
يُحسُّ الحبَّ والبُغضَ فيجريه على فيهِ
له من وعْيه الساذجِ مصباحٌ فَيهديهِ

جعفر : سلمتَ له أمينَ اللهِ تَرعاهُ وتَحميهِ
وتُدنى من أمانيهِ وتُعلى من مراقيهِ
يلوذ بكهفك الأعلى فَتعدوه عواديهِ
سهرتَ ونام مِلءَ العينِ قاصيه ودانيهِ
وخافك أن تُحيطَ بهم إذا جاروا مواليهِ[1]
إذا ما كنت راعيهِ فإنَّ اللهَ راعيهِ

[يجلس الرشيد على عرشه ويقف الي جانبه الفضل بن الربيع • ويشير الرشيد للفضل أن يأذن لهم بالجلوس]

الفضل : مولاى يأذنُ فى الجلوسِ لكم
مُتَفَضِّلاً ، فخذوا منازِلَكُمْ

---

(١) سادته وحكامه ..

لا زالَ يرعاكم ويكلأُكم

ويُجيبُ قاصدَكم وآمَلكم

[يجلسون فى منازلهم المعروفة . وجوه بنى هاشم أولاً ثم الوزراء ثم الباقون ويكون ذلك ترتيبهم قرباً وبعداً من العرش]

الرشيد : أخى جعفرٌ

جعفر : بل عبدُكَ القِنُّ

الرشيد : بَلْ أخِى

تَعالَ ادْنُ من عرشى فأنت قِوامُهُ

وما جعفرٌ للرأى إلّا سدادُه

ولِلصَّدْعِ إلَّا رأبُهُ والتئامُهُ

أقمتُ بِكم يا آل برمكَ حائطاً

عن الدينِ أعيا المارقين اقتحامُهُ

عقدتُ بكم ملكاً على العدلِ والهُدَى

فانتم درارى عقدِه ونظامُهُ

إذا وزراءُ الملك كانوا سِياجَهُ

فذلك فضلُ اللهِ تَمَّ تَمامُهُ

يحيى : فداءٌ أميرِ المؤمنين رقابُنا
وقلّتْ فداءً وهي ملكُ يمينهِ
فما نحنُ إلاّ قبضةٌ من سيوفه
وما نحنُ إلا حَفْنَةٌ من قطينهِ(١)
تُصيبُ مَخيلاتِ(٢) الأمورِ عيونُنا
وتُفْضى إلى أغوارِها بعيونهِ
وَتكشفُ أسدافَ الأمور إذا دَجَتْ
بنورِ سَجاياهُ، ونورِ جبينهِ
ونبذلُ للعافِين من حرِّ ماله
ونُجرى على قصَّادِنا من مَعينهِ(٣)
جعفر : ونَقضى فَنَسْتَهدى إذا الحقُّ لم يَبِنْ
بأَبلجَ معصومِ القضاءِ مُبينهِ
ونُخضعُ غُلْواءَ(٤) الملوكِ بِسَطْوهِ
ونُبطل تدبيرَ الدُّهاةِ بِلينهِ

(١) القطين الخدم (٢) المخيلة السحابة التي لا مطر فيها وهي هنا كناية عن توافه الأشياء.
(٣) الماء الجارى ويقصد به هنا المال (٤) الغلواء : الغلو، والمراد هنا : التعالى

وَيَرمى عـدوَّ الله منـا بِفتيـةٍ

تُنافح عن دُنيـا الرشيدِ ودينـهِ

يَسيرُ عليهـا الموتُ تَحت بنودهِ

ـ إذا الفتنةُ استَشْرت ـ وفوق سَفينهِ

وكـم فَدحتنـا شدةٌ لم نجدْ لهـا

ثمـالا (١) سوى إيمـانِه ويقينـهِ

وكم هاجَتْ الدُّولاتُ من حول عرشهِ

فَمـا سكَّنَ الدُّولاتِ غيرُ سكونِه

سكون أميرِ الغـابِ يُرهَبُ خادراً(٢)

صَفوحاً(٣) ويُخشى مقعيا فى عرينـهِ

وقاهُ الذى أنشـاه للنَّاسِ رحمـةً

وبارك فى مأمونهِ وأمينـهِ (٤)

الرشيد : [الجعفر فى إعجاب] شَعرتَ فلم تترك مقـالاً لِشاعرٍ

فَلو أنهـم قد طاولوك لقصَّروا

---

(١) الغياث والذي يقوم بأمر قومه (٢) الأسد الخادر الملتزم خدره تعففا

(٣) الصفوح : المعرض . (٤) هما عبد الله المأمون ومحمد الأمين ولدا الرشيد

جعفر بن الهادى : رضاؤكَ من يطلبْ به المجدَ وحدَه

[فى تحير مهذب] ينلْه ، فلا يُكْدى ولا يتعثّر

وإنك بنّاءُ الرجالِ ، تمدُّهم

بجاهٍ ، فيسنى من تمدُّ ويذكرُ

تُعِزُّ بنُعماكَ الأعاجمَ بيننا

فسيبقُ إن شئتَ السُّكيْتُ المؤخرُ (١)

فإن فرعوا مجداً فجدُّ سكبتهُ

عليهم ، وضوءُ الشمسِ للنجمِ مصدرُ

اسماعيل بن يحيى : أيا ابنَ أخى لم تذكرِ الحقّ كلَّهُ

[فى لوم يسير] وذكرُكَ كلَّ الحقِّ أولى وأجدرُ

فإن كان فى رأى الخليفةِ مَقنعٌ

وذلك فضلُ اللهِ ، واللهُ أكبرُ

فإنَّ جمالَ الملك يحيى بنُ خالدٍ

وحِليتُه الفضلُ بن يحيى وجعفرُ

---

(١) السكيت من الخيل هو آخر خيل الحلبة .

عبد الملك بن صالح : عريقون فى التدبيرِ ، قُوَّامُ دَولةٍ
[مستطرداً]
ميامينُ شادوا فى البلاد وعمَّروا
إذا بَدَهَتهم (١) فتنةٌ أجمعوا لها
فلا العزمُ مَخزولٌ ولا الرأىُ مدبِرُ
اسماعيل بن يحيى : لقد عَمَّروا ما نَدَّ عن ذاك منصف
أيُنْكَرُ ضوءُ الصبحِ والصبحُ مسفرُ
فذاك بريدٌ يَذْرَعُ الأَرضَ مُحكَماً
وذلك فَيْءُ (٢) المسلمينِ مُوَفَّرُ
أقاموا عليه حاسبين فأصلحوا
وضُمُّوا إليهم ضابطين فدبَّروا
هرثمة : وَتلك بيُوت الجندِ ضَمَّت شَتاتَهم
فأَوُّوا إليها حامدين فعسكروا
العباس بن محمد : وتلك مأوَى للمريضِ ومثلُها
لمن حُرِموا كهفَ الولِّ وأعسروا

(١) فاجأتهم (٢) الفىء الخراج .

وكان التداوى لِلمياسيرِ [1] وحدَهم

فأضحى تَملاَّهُ [2] مُقلٌّ ومُكْثِرُ

عبدالملك بن صالح: ولم يُغفِلوا شأنَ القضاء فهذَّبوا

مناهِجَ إدراكِ الحقوقِ ويسَّروا

وما غيَّروا إلاَّ أساليبَ أخلقتْ

وتبقى حدودُ اللهِ لا تتغيَّرُ

أقاموا له ضخْمَ الصُّروحِ ووطَّأوا

مَجالِسَه فِيها فأعلوْا ووَقَّروا

اسماعيل بن يحيى: وتلك بيوتُ العلمِ يعلو منارُها

[في رضا] وينسابُ مِنها نورُها المتفجِّرُ

يقومُ على حريةِ الفكرِ علمُها

وليس له إلاَّ الحقائقَ مصدرُ

وفيها لأصحابِ البحوث مثابةٌ

وفيها لطُلاَّب التَّعمُّقِ مِنبرُ

---

(١) الأغنياء (٢) تملى الشيء تمتع به .

بَعيدٌ عن الدِّين الحنيفِ اصطراعُهـا
فلا هو يَرضاها ولا هو يُنكِـرُ

عبد الملك بن صالح : وتلك كنوزُ المشْرِقـين تجمّعت
بِبغـداد تُجْـلَى الضَّـادُ فيها وتَظْهرُ
نتـاجُ عقول إن ذوت فهى لم تَزلْ
تُطالعُ بالهـدْىِ الزمانَ فتَبْهَـرُ

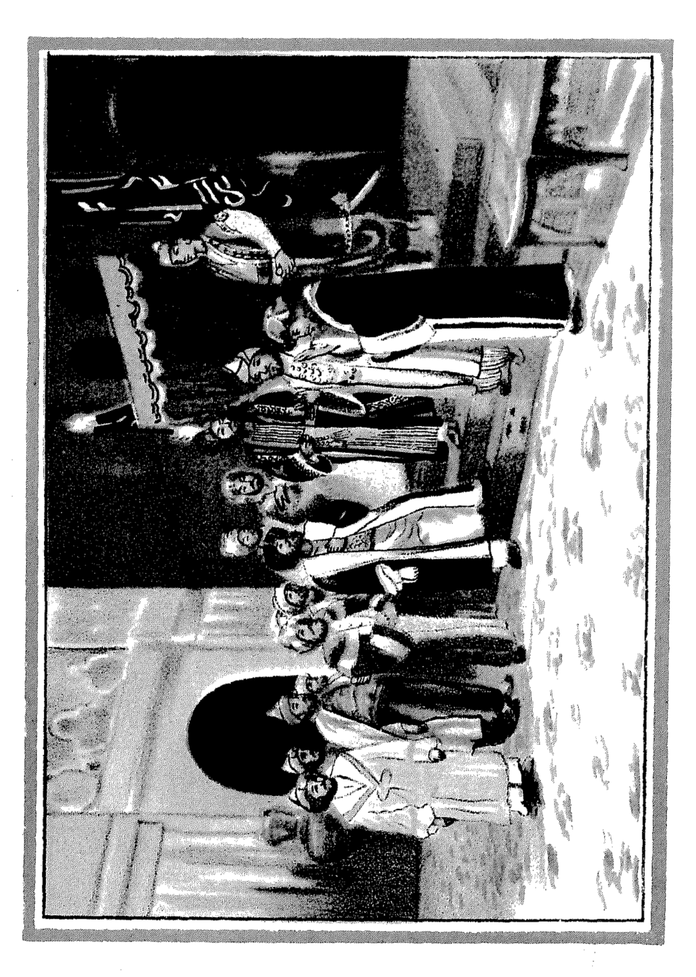
الرشيد : [فى اعتداد] نقلنـا فحقّقْنـا وزدنا تَعمّقـا
وتَرجمَ عنـا شرلمـانُ الموقّـرُ (١)
لعمرى فمـا لِلعـلمِ دارٌ بِعينهـا
ولـكنـه حقُّ الوجودِ المُقـررُ

[يعتدل الرشيد فى جلسته متّكئاً بيديه على الوسائد فيحس الرقعة . فيرفعها ثم ينشرها . ويقرؤها قراءةً غير مسموعة . ثم يعود اليهـا . والجمع يتطلعون اليه في خشية وترقب]

الرشيد : [يقرأ الرقعة فى تبرم] قل لِلرشيدِ حذارِ . مِنَ الذئابِ الضوارى

...

(١) شرلمان ملك فرنسا وكان يعاصره وكانت تجمعهما مودّة .



ثاروا عليك فَقَلِّمْ أظافرَ الثُّوارِ
وَقَفتَ إن لم تقِفهم على شَفيرٍ هارِ
لم ينجُ من نام بيْن الدُّفَّاع (١) والتيّارِ

[استنكار من فريق • وتغامز من فريق آخر]

الرشيد : كَثُرتْ هذه الرقاعُ وما أحقرَ ما حَمَّلتْهُ غُفلُ (٢) الرقاع
[مستطردا] هى سمُّ الأفعى الحَقودِ وبعضُ الناسِ صيغوا على غِرارِ الأفاعى
لو إلى الخير يهدفونَ وللحقِّ لما احتاج نُصحُهم لِقناعِ
ليتهم يعرفون عن آلِ يحيي ما عرفنا من فضلِ عقلٍ وباعِ

ابن الهادى : إننى أمقُتُ الوقيعةَ لكن كل شاكٍ من حقه أن يقولا
[فى اعتراض] عمِّ ؛ أنت الوصىُّ فى هذه الأرضِ على الخلْقِ فاحترسْ أن تَميلا
اصطفِ الناسَ للوزارة لكن فابْقَ أنتَ المأمولَ والمسئولا
وتخفَّفْ من بعض عبئِك إن شئتَ ولكن حاسبْ حساباً ثقيلا

الرشيد : قد تَحدَّثتَ يا بنىَّ فأحسنتَ ولكنْ أغفلتَ أمراً جليلا
[فى كظم] هو أن الشبابَ يتَّبعون القلبَ لا العقلَ هادياً ودليلا

(١) السيل
(٢) الغفل من القداح ما لا علامة فيه والمراد هنا التى لا يجلى أصحابها عن أنفسهم .

[ثم في تقريع] لم تكن مُنصفاً ليحيى وشبليهِ وإن كنتَ قد شَفيتَ غليلا

ابن الهادى : لم أُعرِّضْ بِهم

[في تهيب]

الرشيد : [في حسم] كَفى ! فسبيلى

ما رأيتم . . فلا تَضِلُّوا السبيلا

حرسوا الدِّين ، والخلافةَ ، والملكَ

وكانوا ظِلّاً لِشعبي ظَليلا

[مستطرداً وهو يلقى الرقعة]

أرانا تشاغلنا بما هان أمرُه

فهلَّا رجعنا للذى كان يُؤثَرُ

[ثم في تكريم]

فهل جعفرٌ مُفضٍ لنا في إفاضةٍ

بما كان من أمرِ الشآم ومُخبرُ

فقد كنت أدرى مذ بعثتُك أننى

بعثت فتى يَدرى الأمورَ ويَقدرُ

جعفر : بعثتَ لأهلِ الشـامِ لاجيشَ فاتحٍ
مُغيرٍ ، ولـكن جيشَ هادٍ مبصِّرِ
وقُلْتَ : فطالعهم بِنُصحٍ ووالِهـم
فإن جَنَحوا للسِّلْمِ فاجنحْ واَقْصرِ
وقُلتَ : حرامٌ مالُهـــم ودماؤُهم
إذا لم يُبـادوكم ببغيٍ ومنُكـرِ
فلما بَلغنـا قلتُ يا قومُ فارجعوا
لِمأثور فضلٍ نعْفُ عنكم ونَغفـرِ
فعادوا لِعهـدٍ فى ذَراكَ وطاعـةٍ
وعدنا بنصرٍ من حِجاكَ مؤزَّرِ
وما خيرُ فتـحٍ عسكرىٍّ مُظَفَّـرٍ
إذا لم تتُوَجـــه برأيٍ مظَفَّـرِ
الرشيد : أخى جعفرٌ، ما كنتَ منُصفَ نفسه
ومن لم يُقَـدِّرْ نفسَه لم يقَـدَّرِ

شبيبٌ وعباسٌ ؛ أما قد شَهِدتُما
فقولا مقالَ الصادقِ المتُذكرِ

شبيب : ولما تلظَّتْ ثورةُ الشام واغتَلتْ
فَصَلْنا [1] إليها فى الحديد المُجمْهَرِ [2]
لنا قوةٌ من حقِّنا لم تَلِنْ لها
صَفاةٌ[3]، وأخرى من زعامةِ جعفرِ
وكنا أعزَّ الناسِ جُنداً وقائداً
سَعَوْا للمعالى فى الحديدِ المُذكَّرِ
وكنا أشدَّ الناسِ صبراً على الوغى
ومن يدَّرِعْ بالصبرِ للنصرِ يُنْصَرِ
غزاهم بخوفٍ شعَّهُ فى نفوسهم
ومن يَلْقَ بالخوفِ المعاركَ يُدْحَرِ
وساوَرهم بالسيفِ أقطَعَ باتراً
وثَنَّى برأىٍ قاطعٍ غيرِ أَبترِ

---
(1) خرجنا (2) الضخم (3) الصخرة الصلبة .

العباس بن محمد : وخيَّرهم بين السـلامة والندى
[مستطرداً]
وبين رُكوبِ المركَبِ المُتوعِّرِ

ولاينهم طوراً ، وطوراً أذاقهـم
سَطاةَ عظيمٍ فى المـلوك مُؤمَّرِ

ولمـا رأوْا ألاَّ مناصَ وأنَّهـم
رماهم أميرُ المؤمنـين بقَسْوَرِ (١)

تَداعوْا إلى حِـلْمٍ وقالوا إلى متى
نُباعدُ عن قصدِ السبيلِ ونَجْترى

وقالوا ـ وقد أعياهم الأمرُ ـ مالنـا
يَدَانِ بهذا العـادلِ المُتجبِّرِ

وقد رَضِيت قحطانُها عن نِزارها
وعادوا لودٍّ كالرَّحيقِ المُطَهَّرِ

مَطالعُ فضـلِ الله فى آل برمك
تَرَادَفُ فيهم كابرا بعـد أكبرِ

(١) القسور الأسد

منصور النمرى : أيؤذن لى ؟

الرشيد : بل قل فما فضلُ أمةٍ

إذا لم يؤرِّخْ مجـدَها شعراؤُها

إذا العربُ استغنت بِفنٍّ شأت بهِ

سِواها . فهــذا شعرُها وغناؤُها

منصور : بقيتَ أمينَ اللهِ لابسَ نعمةٍ

تَرِفُّ حواشيها ويَبْهى ازدهارُها

تُعِزُّ وتُعلى دولةً هاشِميَّةً

بنوكَ روابيهـا وأنت منارها

عزائِمكم يومَ الخطوبِ وِقاؤُها

وأحسابُكم يومَ الفخار فَخارُها

غفت وسهرتم تَمْنَعون دماءها

وَصِينَتْ بكم أعراضُها وذِمارُها

أقمت عليها الغُرَّ من آل برمكٍ

فأغدق واديهـا وقَرَّ قرارُها

« لقد أُوقدت بالشام نيرانُ فتنةٍ

فهذا أوانُ الشام يخمد نارها[1] »

« رَماها أميرُ المؤمنينَ بجعفرٍ

وفيه تلاقى صدعُها وانجبارُها »

« وزيرُ أمير المؤمنينَ وسيفُه

وَصعْدَتُه[2] والحرب تَدْمَى شفارها »

« إذا ما ابنُ يحيى جعفرٌ قَصدَت له

ملماتُ خطبٍ لم تَرُعْه كبارها »

الرشيد : [لمسرور] نطقْتَ بأصدقِ الشعر وخيرُ القولِ أصدقُه

غلامُ ابذُل لمنصورٍ ستُعطيهِ فتغرقُه

ويا يحيى

يحيى : [في تأثر بالغ] وما يحيى سوى عبدِك قدّمتَهْ

---

(١) الشعر الذي بين الأقواس من شعر منصور النمري الشاعر (٢) الصعدة الرمح.

وكان الهيِّنَ المغمورَ[1] فى النـاسِ فزعَّمتَـهْ

رفَعـتم للسُّهـا بيتى ومن جدواكَ دعَّمتَـهْ

الرشيد : أبى يحي ؛ فمـا مِثلُك من يُثنى على مِثـلى

فبين يديك قد رفَّ شَبابى واغتذى عقلى

رقيْتُ الملكَ فى ظلِّك سيفاً غيرَ ذى صَقْلِ

فكنتَ القصْدَ فى حلمى وكنت الحلْمَ فى جهلى

وحبَّبتَ إلىَّ العـدلَ والرحمـةَ فى العدلِ

وقد هوَّنتَ أعبـائى وكانت عددَ الرملِ

وصُنتَ العهدَ من بعدى كما وثَّقتَ من قبلى

وكان ابنـاكَ لى عوناً على الفادحِ من ثِقلى

أمرتُ فأبلغِ الآفاقَ بالـكتْبِ وبالرسْلِ

---

(١) الخـامل

جعلتُ لجعفرَ المغربَ والمشرقَ للفضلِ [1]

وقلَّدنا خُراسانَ وجُرجانَ أبا الفضلِ

وما زدنا عن التنويهِ بالفضْل لذى الفضلِ

[يتقدم يحي وجعفر يقبلات يدى الرشيد وقدميه ، فيمنع الرشيد يحي في رعاية وتكريم ويقوم الرشيد فيقوم الجمع ، ويدنو جعفر من الرشيد فيسر له في أذنه قولا ، فيربت الرشيد كتفه ضاحكا ويقول] .

الرشيد : أجزنا ما أشرتَ بِه ولا نألوهُ إعلانا

عقدتُ لواءَ هرثمةٍ على جيشى كما كانا

[ثم يلتفت للفضل بن الربيع]

ويا فضلُ فأبْقِ القومَ حتى نأذنَ الآنا

[يخرج الرشيد]

يحي: [يخاطب اسماعيل في دهشة] هرثمةٌ يشفعُ فِيه جعفرُ

وهو الذى يشى به ويغدرُ؟!

ذاك لعمرى خطأٌ لا يُغْفَرُ

---

(1) عن كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري

إسماعيل : أو أنه الحكمةُ والتّبصُّر
رُبَّ يدٍ عند عدوٍّ تُؤثَر

[يعود الفضل بن الربيع بعد أن يدخل الرشيد ويكون قد أبلغه الي الباب ويخرج مسرور خلف الرشيد]

الفضل : بأمر مولاىَ فابقوا فإنكم ضيفانُهْ
أظلّكُم برضاه وعمّكم إحسانُهْ
وبعدَ غيرِ بعيدٍ يضمُّكم إيوانُهْ
فى مجلس قد أُعدّت ألوانُهُ وقِيانُهْ
تَحيةً لابن يحيي

منصور النمرى : علا وعزَّ مكانُهْ

[ينقسم القوم فرقا فاسماعيل بن يحي ، ويحي بن خالد ، وعبد الملك بن صالح ، فى ناحية ، والفضل بن الربيع وجعفر بن الهادى فى ناحية ، وجعفر بن يحي ، والباقون فى ناحية أخرى]

هرثمة : [لجعفر] قامةُ الملك أنتمو آلَ يحيي بنِ خالدِ
ما تَسوّغتمو العلا بالجدودِ الصّواعدِ
بل على الرأىِ والحجَى والنّدَى والمحامد

وعلى الفضل فارعاً من طَريف وتالدِ

هكذا سدتم الورى ماجدًا بعد ماجدِ

منصور : [لهزيمة في مرح] اترك الشعرَ سيدى لستَ فيه برائدِ

ربما كنتَ والوغى مضرمٌ، خيرَ قائدِ

[يتضاحك هذا الفريق وتسمع قهقهة جعفر بصفة خاصة]

جعفر بن الهادى : [في حقد] اضحكْ فَكم مِنْ ضاحكٍ ليلَهُ

ساوَرَهُ الصبحُ بِخطبٍ جَلَلْ

وانْعَمْ بما قُلِّدتَ مِن دُولةٍ

الفضل : أقصَرُ شيءٍ عمرُ تِلك الدولْ

ابن الهادى : بَلغتَ أعلى شُرُفاتِ العلا

ما أصعدَ الصاعدُ إلَّا نزلْ

الفضل : يا ثملاً بِالمجد مُغْرًى بِه

أقربُ رأسٍ لِلهُوِيِّ الثمِلْ

رَوِيتَ طيشاً وهوًى جامحاً

وربَّ رِيٍّ زادَ حتى قتلْ

ابن الهادى : يا أيها السـادرُ فى جهلهِ

ما طِبُّ أمثالكَ إلَّا الأجلْ

الفضل : فمن نجا مِن سَطَواتِ الهوَى

قَضَتْ عليهِ جَمَحاتُ الأملْ

لم يأمنِ السلطانَ ذو نُهيةٍ

خَفْهُ إذا قيلَ رضاهُ اكتملْ

[يسير يحي بخطوات وئيدة الي ولده جعفر ويأخذ بيده متجها به الى ركن بالمسرح]

يحى : يا بنىَّ ، ادنُ أُحدثْكَ

جعفر : فمُرْ

تَرنى فى الطائعينَ الخاضعينْ

يحى : إيتِنى الليلةَ فى قَصْرى إذا

قُمتَ مِنْ حَفْلِ أمير المؤمنينْ

جعفر : يا أبى كَيفَ ، وهذى ليلةٌ

ما أراها جُعلت لِلوالدينْ ؟!

إن بى شوقًا لِمن تَعرفُهم
يتلظَّى مُنْذ أيام مِئِينْ (١)
وهوًى جنٌّ ، وعادىٌّ (٢) الهوَى
حين تدنو الدارُ يَعروهُ الجنونْ
وجوًى برَّحَ بِى لاعِجُه
يتنزَّى فى ضُلوعٍ يَكْتَوِينْ
لَيتنى أهْفو إليهمْ طائِرا

يحيى : [فى اصرار] بل فجِئْنى

جعفر : يا أبى بل لاتَ حينْ

يحيى : إن أمرًا فادحا ساورنا
عجزت فيه جهودُ المُتَّقِينْ
حسدوا دُولتَنا وأْتمروا

جعفر : نحن ـ مذ كنا ـ قذًى للحاسدينْ

---

(١) جمع مائة (٢) العادى القديم .

إنَّ هارون أخى بوَّأنا

رَبَوات المَجد والعزّ المكينْ

وسقانا الوُدَّ صَفواً لم يُشبْ

فزكا كالسرح[1] فى حِضْنِ السنينْ

يحيى : [في حزم] يا بُنىَّ احذرْ إذا الدهرُ بدا

مُقبلاً ، واخش ابتسامَ المالكينْ

يا بُنىَّ الليثُ أعدى ما يُرى

حين يُقعِى كالهزيلِ المستكينْ

جعفر : يا أبى استعصِمْ بما تملكه

من جليلِ الرأىِ والحزمِ الرصينْ

يحيى : قد يرى أعداؤُنا أسهُمَهم

ورموْها فأصابوا الغافلينْ

ركبوا الضعفَ إلى غايتِهم

والردى فى صولةِ المستضعفينْ

---

(١) السرح : الشجر يطول .

قد رأيت الآن كيداً آثماً

إن أوفى الكيدِ كيدُ العاجزينْ

ندبَ الفضلُ له هرثمةً

وتولَّت كِبْرَه (١) أمُّ الأمينْ

فإذا السرُّ الذى استخفى على

خَطْرةِ الحَدْسِ وأوهامِ الظنونْ

عرفوه ! !

جعفر [فى اضطراب] أىُّ سرٍّ يا أبى

يحيى : قصةُ الظُّلمِ وبغْىُ الظالمينْ

جعفر [في اضطراب أشد] يا أبى أفصِحْ فصبرى عقَّنى

[يدخل الفضل بن الربيع قائلا بصوت مرتفع]

الفضل : أذِنَ الآنَ أميرُ المؤمنينْ

هو فى الإيوانِ يستقبلكمُ

ادخلوهُ بسلام آمنينْ

(١) كبره أى أعظمه

[يبدأون فى الخروج من الباب الذى دخل منه الرشيد . يدخل مسرور ويسر كلاماً فى أذن الفضل بن الربيع وهرثمة وابن الهادي . ثم يبتعد محاذراً ويبقى هؤلاء بالمسرح بعد خروج الجمع]

[تدخل ريق وبذل في حذر شديد]

بذل : ريقُ ؛ هذا البابُ فاحرسيهِ

ريق : وأنتِ ألْقى السترَ واضربيه

[تنشر ستراً خفيفا]

[تدخل سكينة في احتراس]

سكينة : سيِّدتى قادمةٌ تلقاكمو

هرثمة : دامت لها العزَّةُ والمكارمُ

الفضل : وظلَّلتها النعمُ التوائمُ(1)

[تدخل زبيدة فتظهر داخل الستر]

[ويقترب منها الفضل وهرثمة فى توقير غاضين من بصريهما]

زبيدة : كنتَ فى مجلسِ الرشيدِ فما الأنباءُ تفضِى بها وما الأخبارُ

قد سَمِعنا القليلَ منها

ابن الهادى : لنَا الله فأعدى أعدائِنا الأقْدارُ

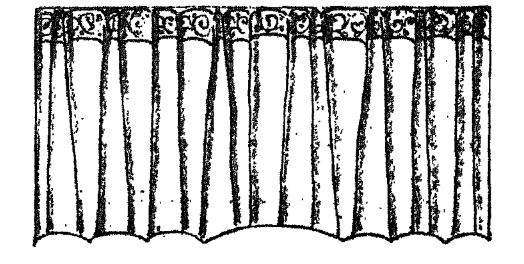
---

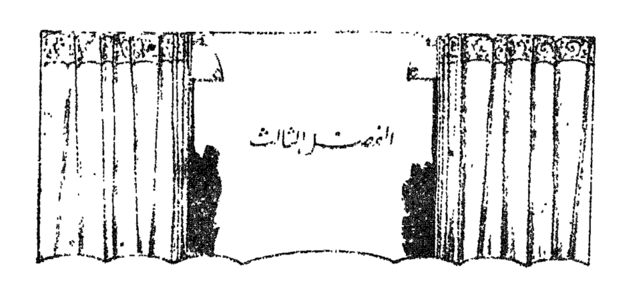
(1) المزدوجة .

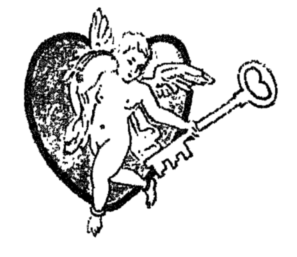
هرثمة : مابَتَثْنَا لهم ونحنُ على الحقِّ شِراكاً إلاّ عَدَوْها [1] وساروا
أوْ رَمَيْنا جَناحَهم بِسهامٍ مُرهفاتٍ إلا اتَّقَوْها وطاروا
ابن الهادى: لِمَ لا، والرشيدُ قَيِّمُ ملكِ اللهِ كَهْفٌ لهم وخِدْنٌ وجارُ
[في حدة] يترقَّى بهم ذُرى المجدِ فالأمرُ لهم والثغورُ والأمصارُ
الفضل : واصطفاهم على العبادِ فأمسوْا رَكِبَتْهُمْ مكانةٌ ويَسارُ [2]
[فى سخرية] عَفَّرَ الدهرُ رأسَه فى ثراهم
زبيدة: [فى حزم] قَدْكَ، فالدهرُ قُلَّبٌ دوَّارُ
إنما الليلُ خِلْفَةٌ [3] والنهارُ والحياةُ الإقبالُ والأدبارُ
هرثمة : يا ابنةَ المجد فارعاً فأشيرى وأْمُرِى والأريبُ من يستشارُ
زبيدة : إن رَمَيتم فلم تُصيبوا، فعودوا فالنجاحُ التَّكْرارُ والإصرارُ
لا تناموا عن جعفرٍ، فلهُ كالذئبِ عَيْنٌ يَقْظى ونَوْمٌ مُطارُ
لست أَطوى له سخيمةَ صدرٍ لا، ولا بينَهُ وبينِى ثارُ
غيرَ أنى أخشى على الملكِ منه وعلى عِترةِ النبىِّ أغارُ
[ثم تستطرد فى صوت مرهوب] إنْ تملَّى من النعيمِ ابنُ يَحيى فالليالى المُسالماتُ قصارُ

(١) تخطوها (٢) الغنى (٣) وجعلنا الليل والنهار خلفة أي متعاقبين

رُبَّ جُرم عرفتُه عنه كان المـوتُ أدنى جـزائه والدَّمارُ
إن بغدادَ منذ يومين مَهْدٌ لابنِه الطفلِ - قد علمتُ - ودارُ
إن ظفرنا به هوى الطوْدُ وانهارَ وذَلَّ المُسَيْطرُ القهارُ
كلُّ جبَّارِ دولةٍ ضَلَّ واستكبرَ ، فاللهُ فوقَه جبَّارُ




الفصل الثالث



الفصل الثالث

في قصر العباسة :

بهو فخم أنيق ، فيه مضجع للنوم تعلوه أستار موشاة ، الوقت الهزيع الأخير من الليل .
العباسة جالسة على إحدى الأرائك وأمارات التفكير والقلق واضحة عليها .

المشهد الأول

[تدخل عُلية]

العباسة : هَلْ قَدِموا ؟

عُليّة : لم يقدَموا بعد

العباسة : تُرى ما عاقَهُمْ

يهجسُ قلبي مُنبئاً أنَّ أذىً أصابهمْ

علية : لا تَجزعي فإنَّما أخَّرهم فرطُ الحذرْ

إنَّ الوليدَ لَحِنٌ (١)   وعى الأمورَ وَخَبَرْ

[تدخل عتبة فتنصرف العباسة لها ببصرها]

عتبة : سَيِّدَتِى لا تقلق   إن الوليدَ قد حضرْ

العباسة : [فى لهفة] أجاء بابنى ؟

عتبة : لم يَجىءْ بِه

العباسة : وكيف ؟ بِنِّى

عتبة : قال الوليدُ إنه   خَلَّفَه فى مأمَنِ

حتى يرى بِنفسه   الطريقَ ثم يَنْثَنِى

لقد أحسَّ أنه   مُذْجاءنُصْبُأعينُ (٢)

العباسة : أعينُ منْ ذاكَ الذى   يُغرى بِنا ويَجترى

عتبة : أعينُ قومٍ أقْسموا   على هلاكِ جعفرِ

[تخرج عتبة]

العباسة : لم يستطيعوه على الدَّستِ (٣) وفوق المنبرِ

---

(١) اللحن الفطن (٢) الرقباء والجواسيس (٣) أريكة الوزارة وماشابهها

فحاربوه فى ابنه

عليه : [فى ألم وازدراء] ومهده المطهر

وأرجفوا فى زوجه بكل إفك منكر

قالوا الزواج لم يكن

العباسة : يالافتراء المفترى

عليه : حجتهم أن الزواج للورى لم يشهر

العباسة : [فى ألم] عجبت مما جئت تروين وتزجين لنا

جعفر إن أفرع[1] للمجد ففاز بالمنى

وساور العلا فتى فربها[2] وما انثنى

وشغل الدنا بما أودع أسماع الدنا

إن كان قد أذنب فى ذاك فما ذنبى أنا ؟

عليه : ذاك من لؤم السيا سات.. فلاقلب لديها

أتفه الناس ضميراً أكرم الناس عليها

وأذل النفس والأخلاق أدناها إليها

---

(١) علا وطال (٢) استعبدها

العباسة : إنَّهـا أمُّ جعفرٍ (١) ناصبتهُ

من دَخيلِ العَداء ما ناصبتْنِي

أبغضتْهُ بُغْضَ المَنونِ فلما

عثرتْ بى فى قَلْبهِ أبْغضتنِى

لو أطاقت لحطَّمتـه ولن تَبْـ

ـلُغَ مِنهُ إلَّا إذا حطَّمتنى

إنْ تكنْ جَمَّةَ الدَّهاءِ فإنِّى

علَّمتنى الأيَّامُ ما عَلَّمتنِى

المشهد الثانى

[تدخل عتبة وهي مستبشرة]

العباسة : [مستطردة] إيهِ عتْبُ ، تفيض عَيناك بشراً

وحبورا

عتبة : [في مرح] إنِّى قدمتُ بِبشرَى

(١) لقب زبيدة .

سَيِّدى الفارسُ الصغيرُ !!

العباسة : [في لهفة] أوافَى ؟

عتبة : بلغَ القصرَ فاسْتوى فيــهِ بدراَ

العباسة : احمليــه إلَىَّ ! بَلْ سأوافيه

فما أستطيعُ يا عتبُ صــبرا

[تخرج العباسة مسرعة]

عتبة : [لعلية] حزبَ الأمرُ فانظرى كيف نلقاهُ

فإنِّى أراهُ يَــزْدادُ شَرَّاً

جَهَرَ النّــاسُ بالأَحاديثِ فينـا

لم يعــدْ سِرُّنا بِبغدادَ سِرَّاً

[ثم تقترب من علية وتمسك بيدها في جد بالغ] نُطِّقَ (١) القصرُ بالعيونِ علينـــا

حَرَسُ القصرِ آنسوا ذاكَ جهراَ

فإلامَ السكوتُ والنارُ تَسرى

وإلامَ الهجوعُ والخطبُ يَشْرى(٢) !؟

---

(١) أحيط (٢) شري الخطب استطار .

عليّة : ما جهلنا يا عتبُ من ذاك شيئاً
لا تُراعي ، سيُحدثُ الله أمرا
حسبونا صيْداً .. وما نحن صيْدٌ
سائغٌ ، إنَّ لحمَنا كان مُرّا
إن هارونَ أرحمُ الناسِ يا عتـ
ـبَةُ قلباً ، وأرحبُ الناسِ صدرا
سوف يَرْثى لها ، ويعفو ، فتنسى
ما انتحاها بهِ عتُوًّا وكبرا
إن تكنْ لم تُطِعْهُ يا عتبُ فاللهَ
أطاعت ، واللهُ أقدسُ أمـرَا
عتبة : هل ترينْ الوليدَ؟
عليّة : فليأتِ
عتبة : قد أقْبَل
يَرْوِى لنَا وقائعَ أُخـرى

قال :

علية :[في مقاطعة] إيتى به يقـــول ويروى

كلُّ راوٍ بما روى كان أدرى

المشهد الثالث

[تتجه عتبة الي الباب . ثم تعود بالوليد]

علية : ما وراءَ الوَليــدِ ؟

الوليد : [في تجهم] لا رأىَ إلَّا

أوبةٌ تسبِقُ الصبـــاحَ ومَسْرَى

هو كابنى، بل كان أدنَى إلى النفس

مقراًّ ، وكان أكرمَ ذُخرا

إنـنى عائد بهِ ، لستُ أُبقيـ

ـهِ فيلقى من كيدِ بغدادَ شرَّا

علية : [في حزم] قد رأيتَ الصوابَ

عتبة :[فى اضطراب] هل يرجعُ اليـومَ؟

الوليد : [في حزم] أجلْ

علية : إنَّ ذَاكَ أَوْلَى وأَحْرَى

[تشير للوليد فيخرج]

[ثم تقول فى تأثر يشبه الإجهاش]

يا لَزوجٍ تَرادفت نُوَبُ الدهـ

ـرِ عليها ، فاستمسكت وهى حَسْرى

يا لَأُمٍّ قد أوسعتها الليـالى

جائحاتٍ(١) فأوسَعَتْهُنَّ صـبرا

[تدخل العباسة مرحة متهللة]

العباسة : نامَ من بعدِ أن طَعِمْ فازدهى القصرُ وابتسمْ

وهَفَا فوق مهدِه كلُّ حُلوٍ من الحُلُمْ

وجَنا الليلُ منشداً عنده أعذبَ النغَمْ

نسيَ القلبُ شَجوَه وزوى(٢) واصبَ الألم

وتمنّى لو انه لزم المهدَ لم يَرِمْ(٣)

---

(١) مصائب (٢) زواه : نحاه (٣) لم يفارقه .

وانحنى عند صدره يلثَمُ الفرعَ والقدمْ

أَمْنُ عيني ونومُها أن ترى أَمْنَه استتمْ

ما تُبالي إذا غفا أنها قطُّ لم تنمْ

علية : [تتكلف المرح] رأيتُ الطفلَ أنساكِ أبا الطِّفلِ وألهاكِ

فهذي الفرحةُ الكبرى تجلَّت في مُحيَّاكِ

العباسة : هُراءٌ ما تقولينَ ولغْوٌ ماليءٌ فاكِ

أُحبُّ الطفلَ من حبِّ أبيه ، فاعلمي ذاكِ

[ثم تقول في شغف حالم]

أرى جعفرَ في عينيه لو رُدَّ إلى سِنِّه

وأُلفي في مُحيَّاه أباه رفَّ في حسنهْ

[مستطردة] لمَّا رأيت قدومَ جعفر موشكاً

أرسلتُ في طلب الصبيِّ فجاءَ

ركب الظلامَ إلى أبيه وأمِّه

يلقاهما ، والرملَ والبيداءَ

حُرِمَ الأَحبَّةَ ، أمه وأباهُ فى
بيتٍ يرفُّ وَثارةً [1] وهنــاءَ

[تبكي العباسة بكاءً خافتا]

علية : تَبكين والدُّنيا بسعدِك أقبلتْ
تُزجى الرِّفاءَ إليـْـك والنعماءَ !
لو كُنْت إياكِ انتشيتُ فَلَمْ أُفِقْ
زَهْــوًا ، وقمت أُطاول الجوزاءَ
هـذى كتائبُ جعفرٍ قد شارفت
بغْـــدادَ فانفجرت سناً وسناءَ
يُزجى مواكبَها ويَقْدمُ ركْبَها
بطلٌ ترجَّحَ [2] عِـــزةً وإباءَ

العباسة : ما بالُه لم يأتِ بعـــد فتنطفى
[بعد صمت قليل] غُلَلٌ ، وتهدأَ فى الضـــلوع جراحُ .

---

(١) اللين والنعومة (٢) اهتز وتدافع .

عام تجرَّمَ (١) وهو عنى غائبٌ

فالقلب دامٍ والجفون قِراحُ (٢)

يا شوقُ ، قد بَعُدَ الحبيبُ فهجتَ بى

ودنا فَجُنَّ أُوارُكَ الملحاحُ

علية : أخشى عليك الفرحتينِ ، فربَّما

قتلت — كما قتل الأسى — الأفراحُ

هذا ابنُك المحبوبُ جىءَ بهِ على

قَدَرٍ ، وهذا زوجُك المِسماحُ

فَتَسوَّغى نعمَ الحياةِ وأُنسها

فلشدَّ ما عصفت بِك الأتراحُ

العباسة : أَعُلَيَّةُ ؛ إن تَبْسِمِ لى الدنيا ففى

بَسماتِها إجهاشَةٌ ونُواحُ

---

(١) تجرم : انقضى .
(٢) جمع قريح وهو الجريح .

أخشَى وهـذا الليلُ ضَمَّ شَتاتَنا

أنْ يَصدعَ الشملَ الجميعَ صباحُ

[تدخل عتبة وهي تجرى]

عتبة : مولاىَ آتٍ من مقــاصرِه

العباسة : [صارخة] هَلْ جاءَ ؟

عتبة : جاءَ فــرفَّ مغنــاهُ

العباسة : [تقف متحاملة على نفسها] يا قلبُ أين تَدُبُّ فى جســدى

وإلامَ تهفو فى بقــاياهُ ! ؟

يا قلبُ لا تنفكُّ مُتَّلِهــاً (١)

هلَّا هــدأتَ ! أعانك اللهُ

تَفْنَى حنينــاً حـينَ تَفْقِدُهُ

وتذوبُ وجداً حين تلقــاهُ

[تتجه الى باب لم يفتح قط ، وقبـل أن تصل اليه بخطوات يفتح البـاب من الخارج ويدخل جعفر ، فاذا هما وجها لوجه]

---

(١) متولهـا .

المشهد الرابع

العباسة : جعفرُ

جعفر : عباسةٌ !

العباسة : حَبيبى !

[تتعانقان] هل عدتَ لى أم رُؤى المنامِ ؟

جعفر : عباستى قد ضَنيتُ شوقاً

ولوعةً فانقعى أُوامى (1)

يا جنّةَ القلبِ أسعفيه

ينهضْ بأدوائه الجِسامِ

يا مُتعةَ النفسِ فابْرُديها

تَهدأْ بها لفحةُ الضِّرامِ

يا هجْعةَ العينِ أدركيها

قد ساجلت باكىَ الغمامِ

---

(1) الغلة والعطش ·

[مستطرداً فى عتاب] ما بالُ حِضْنَيكِ أغفلانى

فهل تُرى ضيَّعا ذمامى ؟!

العباسة : ما بالُ حضنيك أغفلانى !

[وهي تحاكي صوت جعفر وعتابه فى مرح ودلال] وفيهما كنتَ منذُ آنِ

جعفر : يا أجملَ الناس تكذبينى ؟

والكِذْبُ كالعِطر للغوانِى

[تلق بنفسها بين أحضانه]

علية : [فى مرح وهي تخفى وجهها بفضل عصابتها]

أثقل الناسِ ثالثُ اثنين همَّا

بعناقٍ فأبصراهُ فهابا

ليته ندَّ عنهما فإذا الإلفُ

إلى إلفه هفَا واستجابا

[تخرج مشيمة بضحكهما معا]

العباسة : أيها القادمُ العزيزُ على النفسِ

بنفسى وبالحياةِ فديتُكْ

غبتَ عنى فمـــا فقدتُكَ يومـاً
كلَّما لفَّنى الظـلامُ رأيتكْ
عـرَفَ الفجرُ لوعتى فبكـا لى
فإذا رفَّ فى نداهُ بكيتُــكْ
جعفر : كلما هاجَ بى الهـوى بِت أُطفى
غُلَّـةَ الشوقِ والجـوى، فدعوتُكْ
أتُرى قد حفـظتِ يانورَ عيـــنى
من مَصونِ العهودِ ما استرعيْتُكْ
أم تناسيْتِنى
العباسة : [في عتاب] ظـــلمتَ وفائى
لو سلا الروضُ قَطْـرَه ما سلوتُكْ
كنت لحن الشبـابِ والحبِّ
غنَّتْكَ نشـاوى العشاقِ مذ غنيتُكْ
جعفر : أنتِ أغنيتِـنى بحبِّـكِ يجـرى
فى دمي دافقـــاً ، فهل أغنيتُكْ ؟

إن قلبي وقلبك ائتلفا فى المهد

ثم اصطفيتنى واصطفيتُكْ

العباسة : ودعتنى عيناكَ مذ نحنُ طفلانِ

لطُهرِ الهوى فما استعفيتُكْ

جعفر : لم تمر السنون إلا لتُذكى

فى فؤادى الحبَّ الذى أَصفَيْتُكْ

العباسة : عُدتَ لى سالماً فضوَّأَ قلبى

بعد إظلامِه وأشرق بيتُك

[ثم تساعده فى خلع ملابسه فى بشر وتهلل]

[مستطردة] أعطنى هذه العباءَة والكُمَّةَ (١)

واخلعْ دِرعيْك واجلسْ خفيفا

وضَعِ السيفَ ربَّ مُغمَدِ سيفٍ

قد تردَّيتَهُ (٢) فراع الزحوفا (٣)

---

(١) الكمة : قلنسوة الحرب (٢) ترداه : لبسه .

(٣) الزحوف : الجيوش .

حرسَ الدينَ والخلافةَ والملّةَ

والمُلكَ والكتابَ الشريفا

أبصرتهُ دمشقُ يهتزُّ فى الله

مُدلًّا على السُّيوفِ مَنيفا

جعفر : [في تدليل وهو يعطيها السيف] لم يكن أقطعَ السيوفِ ولكن

كان سيفاً طُهْرَ الفرندِ (١) عفيفا

لم يُغازلْ أُنثى ولا مسَّ شيخا

لا ولا شفَّ مُثْخَناً أوْ ضعيفا

وَافْتدانِى بما تشلَّم منهُ

وَوقانِى لَكُمْ وردَّ الحُتوفا

[يجلسان على أريكة]

[مستطردا] لستُ أنساهُ صاحباً قد توسطْتُ

بهِ مَأْزِقاً وبِيلًا مَخوفا

والقنا تَضربُ القنا والمنايا

رَصَدٌ والسيوفُ تَفْرى السُّيوفا

(١) فرند السيف : جوهره .

والرَّدَى مُطبِقٌ علىَّ تراءى

فى صفوفٍ خرساءَ تقفو صُفوفا

طافَ فى خاطرى خيالُك كالبرقِ

إذا رفَّ فى الغمامِ رَفيفا

[أثناء حديث جعفر تضم العباسة السيف فى حدب واشفاق. وتشبث كمن تدفع عنه تلك الأخطار]

العباسة : [في انفعال] قدْك لاتذكرِ الردَى فلقدْ هيَّجت

فى القلبِ لوعةً ووجيفا (١)

رب ملهوفة دعت وهى تَبْكى

تَحتَ جُنحِ الدُّجى اللطيفَ الرءوفا

ليَرُدَّ الخطوبَ عنكَ ويثْنيكَ

لأحضانِها مُعافىً عَطوفا

فيُساقى المُنى حبيبٌ حبيباً

جعفر : ويُناجى الهوى أَليفٌ أَليفا

لم أَهَبْ أن أموتَ والموتُ حقٌّ

بل تَهيبتُ دمعَكِ المَذْروفا

(١) اضطرابا وفزعا .

وَخشِيتُ الأسى عَليكِ وأشْفقتُ

على ابنى يَنْشا تبيعاً رديفا

[العباسة تتنبّه فجأة في حركة مرحة وتقول]

العباسة : أنسيتنَى الدُّنيا بما جمعتْ

حتى لقد أَنْسيتَنَى ولدى

دعْنى أجئْكَ به

جعفر : [فى عتب] أعابثةٌ

بى

العباسة : بل أجِدُّ

جعفر : غَلوتِ فاقتصدى

ولدى أجئتِ به ؟ أصادقةٌ

ما جال ذلك قطُّ فى خلدى

هاتيه يَهدأْ فى أضالعه

قلبى ، وتَطْعمْ أمْنَةً (١) كبدى

---

(١) هدوء وراحة .

ما نعمةُ الدنيا ولذتُهـــا

إلا اجتماعُ الأهـــلِ والولد

العباسة :[في دلال] اصـــبرْ ستلقاهُ

جعفر :[في انفعال] لقـــدْ

أجرمَ قلـــبي إن صبرْ

كيف هو الآن أشبَّ؟ حدِّثيني هل كَـبرْ

أمتعب من السُّرَى ومن مَشَقَّـةِ السفرْ

أضاحك فيضحك الليـــلُ ويهتز السَّحَرْ

أمْ هو باكٍ فجرى الدَّمْع ورفَّ كالدُّرَرْ

سبائكُ النُّضارِ، هل ما زلن لونَ شعرِهِ؟

ولثغـــةُ الراء، ألم تزلْ رحيقَ ثغرِهِ؟

[تخرج العباسة و تعود بابنها بين يديها]

العباسة : [لابنها] عانق أباك وحيِّـهِ وابرد ضلوعَك بالعناقِ

قبِّلْهُ واقتبلِ النعيمَ على ترائبـهِ الرِّقاقِ

وامزُجْ بنفسِـك نفسَه فى ساكبِ الدمعِ المُراقِ

[فى دلال]   واسألْ فهل كان اشتياقُ أبيكَ لى عدْلَ اشتياقى؟

إنى شَقيتُ ببعدِه وضَوِيتُ من ألمِ الفراقِ

ثم ارتويتُ هناءةً   ولذاذةً عند التلاقِ

جعفر :   أبنىَّ ضمَّتنى دِمَشقُ   فهيَّجت وجدَ العراقِ

[متشبثا بالطفل وهو على كتف أمه]   فلكم هفا[1] قلبى لكم هَفْوَ الرَّقيقِ إلى الإباقِ[2]

أَهذى وأهتفُ باسمكمْ   والليلُ ممدودُ الرواقِ

ولقد أقولُ مُنَدَّبَ[3] الأحشاءِ مُخضلَّ المآقى

وهوايَ مشبوبُ اللَّظى بين الترائبِ والتراقى

يا ليلُ تمضى والجوى باقٍ وحَرُّ الشوقِ باقِ

ياليلُ إن جُزْتَ العراق فقل لسيَّدةِ العراقِ

هذا فتاكِ تركْتُه أسوانَ فى أيدى الرَّواقى

اللهُ يدرى وحدَهُ   ماذا يكابد أو يُلاقى

[يلتفتان الى الطفل بين أيديهما فاذا هو قد نام]

---

(١) هفا للشيء ذهب فى أثره   (٢) الهرب

(٣) من الندوب .

جعفر : النومُ قد خالط أجفـانَه

فليَنشرِ اللهُ علـيهِ السلامْ

العباسة : انظرْ إليـه ملَكًا حالماً

كأنّهُ عيسى عَليـهِ السَّلامْ

[يضمانه على المضطجع فى رفق وحدب]

أقدِمتَ من قَصْرِ الرشيدِ إلى هُنـا

جعفر : لا بل أجبتُ أبي وكان دَعانِى

فَلَقيتهُ ولقيتُ أمّى

العباسة : ما وراءهما

وما أفضى بِهِ الشَّيخانِ

جعفر : أتُراكِ عالِمةً بما قالا

العباسة : أجلْ

جعفر : هل زدتنى شيئاً مِنَ التّبيانِ

العباسة : مذ غبتَ لم يَهدأْ عِداكَ ولم يَنُوا

عن كيد مُضطرِمِ الحفيظةِ شانى

وتألَّبُوا زُمرًا عليك فَلَمْ تزلْ

نهبًا لما اختلقوا من البُهتانِ

حسدوا عُلاك فأزمعوا بك غَدْرَةً

جعفر : [في ثقة] ليس السباعُ مآكلَ الذؤبان (١)

عباستي لا يُفزعنَّكِ إلبُهم (٢)

فلقد رُموا بِمُسَدَّدٍ يقظانِ

إنْ نامَ عنهم سَطْوُهُ وعُرامُه (٣)

لم تَغفلِ العينانِ والأُذنانِ

العباسة : هذى زُبيدةُ كيدُها ودهاؤها

يتربّصان بنا ويأْتمرانِ

جعفر : ووراءها الأَذْنابُ مِن جادهم (٤)

بِرِّى ، ونضَّر عَيْشَهم إحسانى

قالوا هدَفْتَ إلى الخلافةِ طامعا

فيها ، فلَمْ يَثْنِ الوفاءُ عنانى

---

(١) جمع ذئب (٢) اجتماعهم (٣) العرام الشدة والشراسة (٤) انسكب عليهم

وتَخِذْت آلَ البيتِ أنصارى على
مارُمْتُ من غَضْبٍ ومن عُدوانِ
وحشدتُ جندى فى خُراسانَ التى
دانت لآبائى ، وفى جُرجانِ
وإذا فعلتُ فما أشدَّ حماقتى
أيروحُ يهدِمُ ما بناه البانِى !؟
إفكٌ ! وما بالأفك تُؤتى أُسرةٌ
قامت على سَمْحٍ من الأركانِ

العباسة : والله ما أدرى علامَ تُذيقنِى
هذا الخصامَ زبيدةُ ابنةُ جعفرِ !
وإلام تَمنحنى الجفاءَ وبيننا
صِهرٌ ، ومعشرُها الخضارمُ مَعشرى !
فى حجرها استشرفْتُ[1] آمالَ الصِّبا
وخطرت فى حُللِ الشبابِ المُعصرِ

(١) استشرف ارتفع بنظره .

أصفيتُها الودَّ النَّدىَّ فساقطت
وُدًّا كأنقاض الجمالِ المُدبرِ

جعفر : [في مرح] أرأيتِ إن حقدت عليك زبيدةٌ
فالحِقدُ مستَندٌ إلى أسبابِهِ
طاوَلْتِها فى كلِّ ما تَمضى له
وزَحمتِها فى كلِّ ما تُعنى بهِ
وسبقتِها للمجدِ تَبتدرينَه
فَصَدرته[1] وصدْتِ عن أذنابهِ
وفضَلتِها عند الرشيد مكانةً
ولمعتِ زينَةَ ملكه ورحابهِ
وحكمتِ فى أُمرائه وأمرتِ فى
وزرائهِ ، ونَهيْتِ فى حُجَّابهِ
وشأوت قادتَه بحزم مُحْصَد[2]
وبَرعتِ ساستَه برأى نابهِ

(١) صدره أصاب صدره (٢) المحصد القوي .

وأَناف قصرُك ، تلجأُ الدنيـــا له

وتُطيفُ آمــــلةً على أبوابهِ

العباسة : إن كان حقًّا ما ذكرتَ فكم جنى

بمَضَائه عقلٌ على أصحـــابهِ

فإذا محضتُ أخي النصيحة فالذى

أَبغيه صونُ كِيانه ووِثابهِ [1]

وبقاءُ دولتـه المُنيفة تحتـــه

أبداً ، وتحت الصِّيدِ من أعقابهِ

جعفر : أفتاك وارثُها الغداةَ أم ابنُها الـ

ـمخمورُ بين غُـــلامِه وكعابهِ

وتقول إنك تحقدينَ على ابنها

العباسة : بل إننى أَرثى له ممـــا بهِ

عَلِقَ الهـــوى بشبابه فهوى بهِ

أما أخوهُ فقد سمـــا بشبابهِ

(١) الوثاب السرير ، أى سرير الملك .

جعفر : ما كنتُ إلّا صادراً عن نُهيةٍ
يوم استجاب لىَ الرشيدُ كدَابهِ (١)
فأقرَّ للمأمون ثابتَ حقِّه
فى عهدهِ وأعاده لنصابهِ
العباسة : [فى انفعال يسير] من أجل ذلك لم تزَل تُغرى بنا
أضْرى ثعابينِ الحمى وذئابهِ
يا جعفرُ الأعداءُ قد كشفوا عن الـ
ـسرِّ الذى نُخفى مَصونَ حجابهِ
ان يهدأوا عنا بهجْر حديثهم
فينا ، ولن نَسْطيعَ رَجْعَ جوابهِ
[ثم فى تأثر بالغ] لودِدْتُ أنِّى لم أكن لك نُغرةً
منها يُساورك العدوُّ بنابهِ
جعفر : [فى انفعال معتدل] ماذا الذى نُخْفِى ؟ وهل يُخفى الفتى
إلّا دخائل نقصهِ أو عابِهِ !؟

(١) كعادته .

ماذا الذى نُخفِى ، فإنك زوجةٌ
اللهُ حلَّلَها بنصِّ كتابهِ
إن كان قد خَشِىَ الخليفةُ أهلَه
فى صهرِهِ ، والجلْفَ (١) من أَعرابهِ
فأنا الذى دوَّى الزمانُ بمجده
ومشى بنو الدُّنيا على أعقابهِ
ليس الكفاءَةُ غيرَ ما صنع الفتى
بيديه ، لا ما اشتارَ من أحسابهِ

المشهد الخامس

[تدخل علية]

علية : أما فَرَغْتُمْ حَديثًا ؟

جعفر : وَكَيْفَ والشوقُ عارِمْ !

(١) الجلف من الرجال : الغليظ الجافي .

علية : هـــذا أبوك ورائى

جعفر : أبى ؟ ؟

علية : أجـلْ فَهْــــــوَ قادِمْ

[يدخل يحي ملتفا بعباءة تخفيه]

العباسة : [فى قلق] ما جاءَ بِالشَّـــــيخِ إلاَّ
بَعَضُ الأُمــورِ العظـائِـمْ

[ثم تتقدم ليحي] أبى !

يحي : نَعمتِ مساءً
وعشتِ دُرَّةَ هاشمْ

[ثم في شيء من التأثر] أين الحسينُ فهلَّا أحضرتهِ

العباسة : هـــو نائِمْ
أيقِـظهُ جَعْفَــر

يحي : لا بل دعيـــــه يا مَوْلاتى

[ثم يقول لها في شيء من الجد والاهتمام]

وإنَّ لى لحديثًا إليـك

العباسة : عَجِّــلْ وهاتِ

لا تكتمِ الشرَّ عنى فكلُّ آتٍ سياتِى

يحيى : أعداؤُنا أجمعوا كيداً فَطِنتُ له

وذاك لو أنفذوه الحادثُ الجللُ

قد أبصروا أمسِ من جاءَ الوليدُ بهِ

العباسة : [فى فزع] أبى وما فعلوا ؟

يحيى : أبطلتُ ما فعلوا

كانوا أعدُّوا لغصبِ الطفلِ عُدَّتَهم

جعفر : [فى غضب] ربِّ أأعقلُ ؟ أم قد مسَّنى الخَبَلُ ! ؟

ابنى يُواثبه (١) العادونَ فى زمنٍ

الأمرُ لى فيهِ والأقدارُ والدُّوَلُ

أجلْ وباسمى ينام الناسُ فى دَعَةٍ

وتَطمئِنُّ على طرَّاقها السبُلُ

أبى فَمن هم ؟ فما أمثالُهم سَلِموا

مِنَ القِصاصِ إذا أمثالُنا عدلوا

---

(١) يواثبه : يطارده .

يحيى : أقصر . فإن انتضاءَ السيفِ مَضْيعةٌ

للحزمِ ، إن كان يُغْني الكيدُ والحِيَلُ

[ثم بعد سكوت قليل]

فليرحلِ الطفلُ !

العباسة : [مشدوهة] ماذا قلتَ يا أبتا ؟

يحيى : مولاتيَ الناسُ أعداءٌ لما جهلوا

إنْ يرحلِ الطفلُ نأمنْ نكبةً عَمَماً

العباسة : متى ؟؟

يحيى : ألانَ وسترُ الليلِ مُنْسدلُ

جعفر : حَتَّامَ نُغضى على ذلٍّ تَعَبَّدَنَا (١)

والعمرُ يمضى ويَفنى دونَه الأملُ

لَكَمْ صبرتُ على الأيامِ مُرتقباً

غداً ، وهمُّ غدٍ بالأمس متّصلُ

(١) استعبدنا

لا ظلمَ أفدحُ من ظلمٍ تحمَّلنا
ما ذاقه قبلنا أُنثى ولا رجلُ
لو مُدَّ فى أَجَلِى أدركته أملاً
فرداً ، ومن لى بأن يستأنِىَ الأجلُ
غداً سأطلبُ حقى غير مُدَّخرٍ
وُسْعاً ، وفى الوُسعِ عزمٌ ريْشُه عَجلُ

يحيى : إن الشباب وإن جلَّتْ بصائرُهم
لطالما اعتسفوا الآراءَ وارتجَلوا
لم يألفوا القَصْدَ فى شىء وحقَّ لهم
فى النائباتِ اصطناعُ القصْدِ، لو عقلوا

[ثم يقول في خشية] قد أوشك الصبحُ أن يبدو وإنَّ له
لأوجهاً مِلؤها الآذانُ والمُقَلُ

الصحابة : أبى نزلنا على حكم دَعَوتَ له
راضين عن حزمه أو غيرَ راضينا

لـكن إلَام يَظلُّ الخوف يَنْشُرنا

فلا نُطيق له حسماً ويَطوينـــا

وما الحياةُ وما الدنيا إذا خَشَعَتْ

جباهُنـا كلَّما أومتْ[1] أعادينا

هل من سبيلٍ لهذا الظُّلْم نَدفَعَهُ

فقد طعِمناه أغلى العمر غِسْلينا[2]

[ثم فى اجهاشة] أكاد أخجلُ من زوجى ومن ولدى

رُحماك هارونُ . . يهدى اللهُ هارونا

جعفر : [فى حنو شديد وهو يمسك بيديها]

أَفى مآقيكِ باقٍ من مدامعِها

وقد هَرقنا دماءَ القلبِ باكينا

ردِّى تباريحَ أشجانٍ ضَنيتِ بها

واستلهمى الصبرَ

العباسة : كاد الصبرُ يضوينا

---

(١) أشارت (٢) طعام أهل النار .

خُضنا الحياةَ شقاواتٍ عَصَفْن بنا

لا ينتهينَ وأوصاباً أفانينا

وكان أفدحَها خطباً تباعُدُنا

جعفر : وكان أعمقَها جرحاً تدانينا

زوجان لم يَرَيا وجهَ النهارِ معاً

وإن رأتْنا على حِذْرٍ ليالينا

العباسة : [تأخذ بيد جعفر الي مهد ابنها]

وددتُ لو كنتُ فى بغدادَ جاريةً

فى بيتِ صالحةٍ من أهلِ بغْدادِ

أظلُّ أَقضى لها شتَّى حوائجِها

وأتفَهُ الزادِ ما أُعطى من الزادِ

وأرتدى الثوبَ من أخلاق ما خَلَعَتْ

أُزْهَى بهِ بين أتْرابِى وأندادِى

حتى إذا مالَ ميزانُ النهارِ بنا

فَصلْتُ أهفو إلى زوْجى وأولادِى

أضمهم بجناحيْ رحمـــةٍ وهوًى

كالطيرِ تَخشى على أفراخِها العادى

والدارُ حاليــةٌ تزْهَى بأُسْرَتِها

كما ازَدهى بالنميرِ السلسلِ (١) الوادى

جعفر : وما تقولينَ فى بيتٍ بِمُقفرةٍ

جرداءَ ، يجمعُ شملَيْنا وإن هانا

لاسقْفَ فيهِ يردُّ الشمسَ لافحةً

والريحَ عاصفةً والوبْلَ هتَّانا

صِفْرِ الجوانبِ من نارٍ ومن فُرشٍ

يكادُ ينقضُّ جُدرانًا وأركانا

نأْوى له وابنُنا المفدىُّ ثالثُنا

ما جنَّةُ الخُلْدِ أحنى منه أحضانا

[ثم يقول فى اجهاشة]

---

(١) الماء الصافي .

نريدُ نسمعُ يا أُمّاً ويا أبتا

إذنْ أتمَّ علينا اللهُ نُعمانا

هَذا النداءُ الذى تَهوى القلوبُ له

وتستحيلُ له الأوصالُ آذانا

العباسة : [فى ذهول حالم] ودِدْتُ لو كنتَ أخا مِهنةٍ

تُصيبُ منها رزقَنا الضيِّقا

وعُدْتَ لى تحتَ الدُّجى حاملاً

أقواتَنا تَسعى بها مُشفقا

فضجَّ من خوْلِكَ أكبادُنا (١)

وقد تَهيجُ الضجّةُ المُرهَقا

فان تجهمتُ فعاتَبتُهُمُ

أغريتهم بى باسماً مُشرقا

(١) أولادنا

جعفر :[في مثل حالها] ولم يزالوا بين أحْضَانِنا

يجُودهُم ساكبُ إقبالِنا

فإن شكا بعضهمو بعضَهمْ

فَظلْتِ حيرى بين أطفالنا

قمنا نَقيهم شرَّ إدلالهم

ونحن فى نَشوةِ إدلالِنا

العباسة : مباهجُ البيتِ ونعماؤه

تُحِسُّها حسرةُ أمثالنا

إن استفاضتْ فى بيوتِ الورى

فإنها أكرمُ آمالِنا

[تبكي فى صوت خافت]

علية : أختاهُ شَفَّتك الشجونُ

فكاد يَغصِبُك (1) التلف

---

(1) يطويك.

ردى تباريحَ الهموم وكفكفى دمعاً وكفْ

يحيى : قد تَسْلَسُ الدنيا فَيُقْتبل النعيمُ المؤتنفْ

فى منزلٍ حالٍ قد انسكب النعيم بهِ ورفْ

العباسة : أضغاثُ أحلامٍ فهل حظٌّ تبدَّد فأُتلفْ

أملٌ تساقط كالربيعِ إذا الربيعُ ذوى وجفْ

[في شيء من الثورة المرة المكبوتة]

أنا الزوجُ التى لم يَشهدِ الناسُ لها بعْلا

أنا الأيِّم ذاتُ الزوج ، لا أُعلم لى مثْلا

أنا الأمُّ التى لايعرفِ الأهلُ لها طفلا

حملت الثِّقلَ لم أقنطْ عسى أَطَّرِحُ الثِّقلا

وقلتُ غداً فَرُبّ غدٍ قريبٍ لاءم الشملا

فلم يجمع علىَّ الدهرُ إلا الظُّلمَ والذلا

طلبت العدلَ يا نفسى فقومى فاجرعى العذْلا

يحيى : [لعلية] أعلىُّ مولاتى فديتُك فلنسرْ

بالطفل ، قد نَصلَ الدجى أو كادا

إنى لأخشى أن يُجدَّ لنا غدٌ

نَدما ، إذا لم يُجلَ عن بغدادا

يبقى سَدادُ الرأىِ تافهَ حكمةٍ

تُروى ، فإن أنفذتَ كان سدادا

علية : آليْتُ لا أدعُوهما لتجلُّدٍ

[فى ألم بالغ ليحيى] هذى الخطوبُ تُصدِّع الأكبادا

لو أن رضوى[1] كان يحملُ بعضَ ما

حملاه من شَجَنٍ ، إذن لانآدا[2]

يحيى : أدرى ، ولكنَّ العدوَّ ببابنا

يَطوى[3] لنا الأضغانَ والأحقادا

لا تُسلمى للضعفِ عزمَك وانهضى

بالعبء ، أو نَفْنَى

علية : رأيتَ رشادا

(١) جبل مشهور (٢) انآد : اندك

(٣) يخفى

[ثم تتجه إلى اشفاق وثبات للعباسة] عباسةُ استهْدى بحزمِك وارجعى

فيما دهاك إلى جَليلِ حِجاكِ

قد عشت تَجلين الأمورَ لَنا إذاَ

اضطربت ، ويَحمينا الضَّلالَ هُداكِ

ضُمِّى إلىَّ الطفلَ

العباسة : ما أَقسَى الَّذى

تتأَذَّنين بهِ وما أَقساكِ

تَدعيننى لِلعقلِ ، إنَّ حماقةً

أن أستجيبَ له وفيهِ هلاكِ

يحيى : [فى شىء من الضعف]

ولدى !!

جعفر : [وهو يناجى نفسه] تعالَ أبى لخـذه

يحيى : [في اجهاشة] أما كَفى

ما سقْتُما من لوعةٍ وتشاكى

جعفر : أبتا أتجهش ؟

العباسة : [في وله] ما رأيتك باكياً

يحيى : أبكاني الشجن الذي أبكاك

عركتني الدنيا بألوان الأسى

فصمدت ، لكن حز في أساك

العباسة : [في جلد] أبتاه مر يحمل ولا تهلك جوى

ستري الثبات ملاكه وملاكي

وإذا يد مرنت على الأشواك لم

ترهب تفاقم هذه الأشواك

[تتقدم علية نحو الطفل وتنحني عليه لحمله على حين يحف به أبواه]

علية : أبني في حفظ الإله

العباسة : [في ضراعة] حذار أن

يصحو فلا أقوى . جعلت فداك

[تحمله علية وتحاول أن تسير به فتتشبث بها العباسة]

مَهلاً أَذُقْ أُختاهُ آخرَ ضَمَّةٍ

أو قبـلةٍ تُطفِى اللهيبَ الذاكى

أَدنيهِ أُشْبِعْ ناظرىَّ

تماسكى

معضد : [وقدوقف حائلا بينها و بين الخروج]

سأردُّهُ فيضمُّهُ مَغْناكِ

بهواكِ . . والدُّنْيا جَناحُ بعوضةٍ

عنـدى ، إذا قُرِنَتْ بغمْرِ هَواكِ

وبكلِّ ضَمَّة مُتْعةٍ وهناءةٍ

أَضْفى علَّى نعيمَها حِضنـاكِ

وبكلِّ عذب اللحنِ من قُبَلِ الهوى

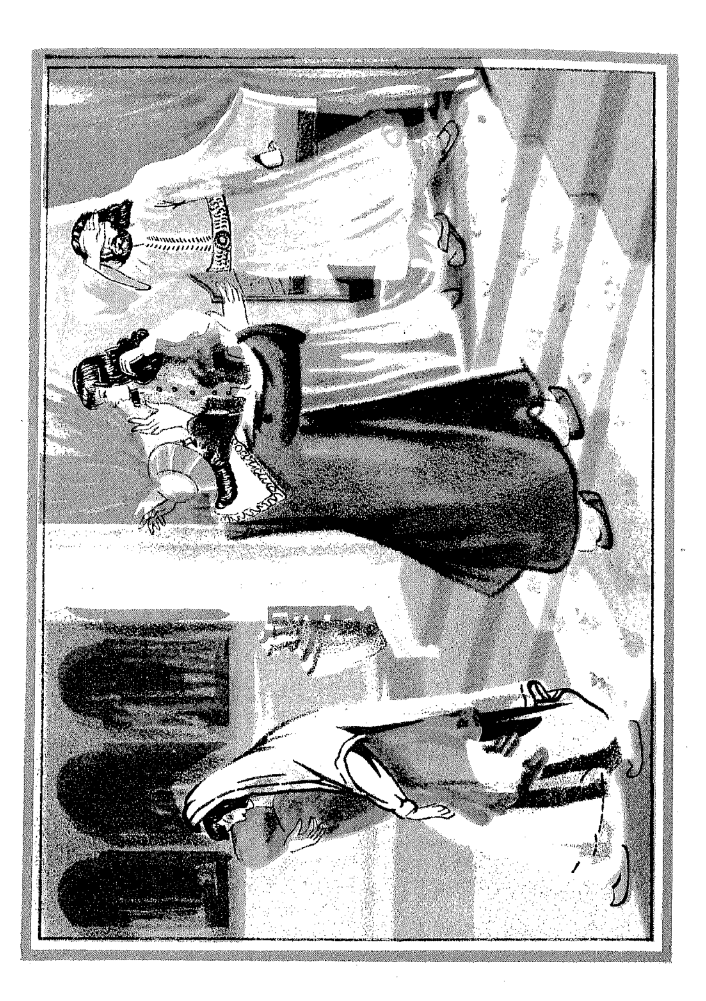
نَضَحتْ بها شفتِى الْملحَّةُ فاكِ

وبطيِّبِ طُهرِ المُصفَّى من دمى

شاءَ الإله فقـرَّ فى أَحشاكِ

لأطالبنَّ بحقنا مُستبسلا

حتى أفوزَ بحقِّنا ورضـاكِ



[ثم يقول في حدة] فإذا الرشيدُ أبى وقال كفاءَةٌ

قلتُ الحكومةُ للسلاح الشاكى

للخيلِ تَنْهدُ بالصوارم والقنا

والجيشِ يزحفُ بالرَّدى الفتَّاكِ

اعزِمْ، ولا تخشَ العواقبَ، واندفع

تجدِ النجاحَ مُيَسَّرَ الإدراكِ

علية : [منكرة] صهِ جعفرُ ما هذا الذى تسمعُ آذانى

يحيى : فعُدْ يا ابنى إلى رُشْدٍ من الرأى وإحسانِ

جعفر : [في ثورة] إذا القولُ نبا لم ينبُ سيفٌ جِدُّ طَعَّانِ

وإن أخفقت الحُسنى فجرِّدْ سيفَ عُدوان

متى نبلغْ خراسانَ قوينا بخراسانْ

هُمو أهلى وأنصارى على الدهرِ وأعوانى

فلا العرشُ ولا التاجُ إذا شئتُ منيعانِ

سئمتُ الصبرَ ما الصبرُ سوى ضعفٍ وإذعانِ

ويا بغدادُ هل نبَّأْتِ هارونَك ما شانى

ويا ظلَّ إلهِ العر ش فى الأرض ستلقانى

فما جعفرُ بالنِّكس[1] ولا جعفرُ بالوانى

يحيى : [في فزع] لقد جُنَّ وأيمُ اللهِ

العباسة : هذى نَفْثَةُ العانى

فلا حِلْمَ لمُهتاجٍ ولا رأىَ لغضبانِ

جعفر : [فى استخذاء وضعف] أبى دبِّر لى الأمر فقد أَخلف إمكانى

أبى ما يصنعُ الوالدُ إن مُسَّ بأشجانى

أبى ما يفعل الزوجُ إذا يُحْرم حرمانى

يحيى : [فى حزم] غداً نفرغ للأمر ونحنُ اليومَ فى شانِ

[يتقدم يحي فيأخذ جعفر بيد والعباسة باليد الأخرى ليخلي السبيل لعلية فتخرج بالطفل]

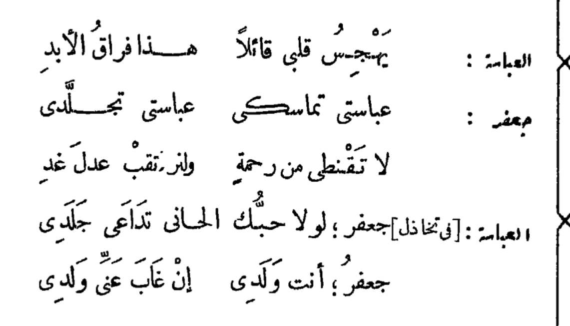
[العباسة تصرخ وتحاول اللحاق بها وكذلك يفعل جعفر ثم يحتضن العباسة فى رفق]

العباسة : يا ولَدى يا ولدى

جعفر : يا قطعةً من كبدى

---

(١) الجبان .



العباسة : يَهْجِسُ قلبي قائلاً   هـــذا فراقُ الأبدِ

جعفر : عباستي تماسكي   عباستي تجلّدي

لا تَقْنطي من رحمةٍ   ولنرتقبْ عدلَ غدِ

العباسة : [في تخاذل] جعفر ؛ لولا حبُّك الحانى تداعى جَلَدِى

جعفرُ ؛ أنت وَلَدِى   إنْ غَابَ عَنِّى وَلَدِى




الفصل الرابع



الفصل الرابع

في قصر الرشيد — في قاعة العرش :

المشهد الأول

[جعفر بن الهادى يتحدث الى الفضل بن الربيع]

الفضل : لم تبق إلاّ خطوةٌ

ابن الهادى : فاحترسْ

فطالما أعيا الورى هدمهمْ

وكم لمحنا نجمهم هاوياً

فلم نبتْ حتّى علا نجمهمْ

الفضل : لا تخشَ يا جعفرُ وارقبْ غداً

ننظرْ .. أحكمُ الله أم حكمهمْ ؟

تأذّنَ الله بإهلاكهم

ابن الهادى : فإنّما أهلكهم ظلمهمْ

ابن الهادى : طَغَوْا ، ومن كانوا طغوْا قبلَهم

دِيسوا أذلاَّءَ ، وشاهَ اسمُهمْ

قد أوبَقَ الإثمُ أبا مُسلمٍ (١)

وإنهم موبقُهم إثمهُمْ

حلْمٌ تُناجيهِ أمانِيهُّم

الفضل : إنَّ سرابًا خادِعًا حلْمهُمْ

لكلِّ ذى حولٍ وذى صَوْلةٍ

يومٌ تَغشَّاه ، وذا يومُهم

[مستطردا] فَقُلْ لأهلِ الزيْغِ منْ فارسٍ

مِنْ كلِّ زنديق الهوى مُشْرِكِ

لن تَبلغوا فى العُرب أوطارَكم

سيَمحقُ اللهُ بنى برمكِ

---

(١) أبو مسلم الخراسانى الذى عاون فى اقامة دولة بني العباس . ثم قتله المنصور .

ابن الهادى : ولن تنالوا سَمْحةً [1] لم تزلْ

تَهدى إلى قُدْسٍ مِن المسلكِ

أُبْلِغَها أحمدُ عن ربِّهِ

لا عن زرادشْتَ ولا مزدكِ [2]

المشهد الثانى

[يدخل هرثمة قادما من السفر]

هرثمة : سلامٌ على الكابرين الكرام

الفضل وابن الهادى معا : سلامٌ

الفضل : متى جِئتَ يا هرثمهْ ؟

هرثمة : بلغتُ مع الصبحِ دارَ السلام [3]

مُغِذًّا [4]

ابن الهادى : [للفضل] فأبلغْ إذنْ مقدمَهْ

---

(١) الشريعة السمحة . (٢) صاحبا مذهبين يتبعهما زنادقة الفرس .

(٣) من أسماء بغداد . (٤) مسرعاً .

الفضل : سأُبلغ من أَمَرَت بالإيابِ

ومن أرسلَ الرسْلَ فاستقدمَهْ

ابن الهادى : إذنْ فلأمرٍ جَليلٍ دُعيتَ

هرثمة : وأنَّى لمثلىَ أن يَعْلَمَه

أنا خادِمُ العرشِ لا رأىَ لى

سِوى ما قضاهُ وما أبرمَهْ

أُتابعه فأذلُّ الذى

أذلَّ ، وأُكرمُ من أكرمَهْ

[ضاحكا] أرى الأمرَ ، لا أنتوى فهمَه

سوى ما دعانِىَ أن أفهمَهْ

[مستطردا] وماذا وراءكما صاحبىَّ

ألا حدِّثانى الحديثَ الطويلا

فقد كان آخرُ عهدى بكم

بعيدا ، ومكثى لديكم قليلا

الفضل : لقد أوشك اللهُ أن يأخذَ الـ
ـبُغاة الزناديقَ أخذاً وبيــلا
وإنّ غداً قادمٌ فارتقبْ
سنشهدُ للقوم يوماً ثقيــلا

هرثمة : حـديثٌ مُعادٌ قطعتَ السنيـ
ـنَ ترويه للناسِ جيلاً لجيــلا
وما كان غيرَ منًى خيّبٍ
وبعضُ المُنى كُنّ حُلماً جميلا

الفضل : ألا إنّ بين يدىَّ الدليـلَ
على ما أقــولُ

هرثمة : فهاتِ الدليــلا
تركتكمو والفــتى البرمكىّ
يَعَزُّ (١) الخليفـةَ إلا قليــلا
فلا رأى يُمضى إذا لم يُجـزْ
هُ ولا قولَ يسمعُ حتى يقــولا

---

(١) يفوق .

الفضل : أجلْ غير أنَّ الهوَى والشبابَ

يَشُقَّان للعثراتِ السبيلا

[مستطردا] لقد أولتِ الأمرَ أمُّ الأمين

عنايةَ مُستجمعٍ حازمِ

فلما استبانَ لديها الدليلُ

أفضت إلى العمَلِ الحاسمِ

مضت للخليفةِ فاستصرخَتْهُ

وأدلتْ ببرهانِها القائمِ

وقالت إذا نِمتَ عن كيدهم

فما كيدُهم عنك بالنائمِ

وقالت من الرأيِ سبقُ العدوِّ

وما سابقُ الرأيِ بالنادمِ

هرثمة : وبعدُ

الفضل : فلم يرَ غيرَ النزولِ

علَى رأيها يا أبا حاتم (1)

---

(1) لقب هرثمة

ولـكنه لم يقـل أو يُشِرْ

وظلَّ على الحـذر الـكاتمِ

ابن الهادى : إنَّ بعضَ الأمور فى القصر تجرِى

كَلَّ عنها فهمى وضلَّ جنانِى

أدبرتْ دولةُ البرامِك أم تلك

رُؤى الوهم ما ترى العينانِ

كان يحيى إن شارفَ القصرَ حَيَّا الـ

ـقصرُ يحيى بالوردِ والريْحانِ

ومشى فى ركابِهِ مُستميحا (١)

كلُّ ذى دولةٍ وذى سُلطانِ

فإذا استأْذنَ الملوكُ تخطَّى الـ

ـسترَ يحيى بغَيرِ ما استئذانِ

وإذا طالعَ الرشيدَ تلقَّاه

بوجهٍ مُستبشرٍ إضْحِيَانِ (٢)

(١) سؤال العطاء وسؤال الشفاعة هو الاستماحة (٢) منير ، ومتألق

جاءَ بالأمسِ فاستبدَّ بهِ الآذِنُ

فارتدَّ وهو بادى الهوانِ

لم يُوقِّرْ قدومَه خدمُ القصرِ

ولم يحتشدْ له عبدانِ

هرثمة : ذاكَ مِنْ أعجبِ الحديثِ

الفضل : بل الأعْـ

ـجبُ ما لم يَقُلْ

هرثمة : إذنْ نَبِّئانِى

الفضل : فإذا حلَّ جعفرُ القصرَ فالإيوان

يرنو وصاحِبُ الإيوانِ

ومشى الكابرونَ بينْ يَديهِ

خاشعى الطرفِ نُكَّسَ الأذقانِ

واجتباهُ الرشيدُ يُضْفى أَفانينَ

عَليهِ مِنْ عَطفهِ الفينانِ

فإذا الأمرُ أمرُه ، وإذا الرأْىُ

له ، والمكانُ كلُّ المكانِ

ذاك أبصرتُه بعينى هل خَبـ

ـرْتمانى تَأْويلَ ما تَسمعانِ ؟

هرثمة : إن أصابت فِراستى فالليالى

مُجهضاتٌ عن نازل أرونَانِ (١)

أجدرُ النَّاس أن يُخاف أذاهُ

صاحبٌ جدُّ مُحْنَقٍ غضبانِ

ابن الهادى : قد هوى نجمُهم وإلاَّ فما ها

[متعجلا] جَ جموعَ الصنَّاع فى بَغدانِ

بَرزوا أمسِ يَجهرون بما قد

شفَّهم من أذًى ومن حرمانِ

من خراجٍ قد زيد والناسُ عُريا

نُ يَسوق الشكوى إلى جَوْعانِ

---

(١) شديد ، صعب .

أفتـــدرى ماذا جَرى ؟

الفضل : خَرَجَ الجنـد

لهم فى الوَشِيج والمرّانِ (1)

أوسعوهم قتـــلاً ، فذلك طِفلٌ

قد تردَّى ، وذاك شيخٌ فانِ

وكريمٌ كان العزيزَ المُرَجَّى

وفَتًى كان زينـــةَ الفتيانِ

لا تَسـلْنى ماذا دعاهم لهـــذا الـ

ـخُرقِ

هرثمة : هذا تنكُّرُ الحـدثانِ

تلك إرهاصةُ (2) الزمانِ إذا أدبر

فاخشعْ ، فذاك عـــدلُ الزمانِ

ابن الهادى : سِر ببغدادَ حيث شئتَ تجدْ بَغـ

ـداد ضاقت بِذلك الطُّغيانِ

(1) أى في سلاحهم (2) الارهاص فى لغة الفقها ، هو الخارق الذى يظهر من نبي قبل بعثه

واسمعِ الناسَ أَينما سِرتَ تسمعْ
فورةَ القِدْرِ ساعةَ الغليانِ

الفضل : [فى خبث] إن مولاتنا التى صاغها اللهُ
على الفضْلِ ، والهُدى ، والحنانِ
لم يَفُتْها أن تبذلَ البرَّ فانهلَّ
فَعَفَّى (۱) مواقعَ العُدوانِ
فإذا القومُ بعد بؤسٍ وحزنٍ
وَلِيَتْهُمْ (۲) سحائبُ الإحسانِ

هرثمة : [ضاحكا] ذاك خيرٌ إن كان بِرًّا أبا العباس (۳)
أو كانَ مِنْ دهاءِ الغَوانِى

المشهد الثالث

[تدخل سكينة]

الفضل : سكينةُ ما وراءك خبِّرينى

سكينة : أبى ؛ تُهديك مولاتى السلاما

(۱) أزال (۲) أمطرتهم (۳) لقب الفضل بن الربيع .

وتذكرُ ما احتَشَدتَ له وتُثنى

عليك ، وتحفظُ المِنَنَ القُدامى

الفضل : جُعلتُ فِداءَها من كل سوءٍ

سكينة : ونِلتَ بفضلِها النِّعمَ التؤاما (١)

أبى ، أنباؤنا تَجرى رُخاءً

كما تنسابُ فى الروضِ النُّعامَى (٢)

أميرُ المؤمنين ازدادَ خُبراً

بغَدرِ القومِ ، وازداد اعتزاما

إذا أنبتْهُ مولاتى بأَمرٍ

وعاه ، وجانب الجدلَ العُقاما

ويَذكر بغيِهم فتشعُّ بغْضاً

محاجرهُ ، وتضطرم اضطراما

وتَلقى وجهَهُ يربدُّ غيظاً

كأنَّ على معارفِهِ قَتاما (٣)

---

(١) المزدوجة (٢) نسيم الجنوب وهى أرطب الرياح (٣) الغبار .

تَرَى مولاتُنا أمراً جليلاً

يُعِدُّ له ، وأحداثاً جِساما

لئن عُزلوا فأنت لها

الفضل : [فى مرارة] أحقُّ ! ؟

غَداً نلْقَى التَّهافُتَ والزِّحاما

ونُبصرُ أكثرَ الناسِ اقتراباً

إليها ، أهونَ الناسِ احتراما

ولم أرَ كالوَزارة لم تُطَوِّقْ

وجوهَ الناسِ والصيدَ الكراما

سأدفعها عفافًا واعتزازاً

[ثم في حقد] وقد أُغضى فأقبلُها انتقاما

سكينة : [فى خبث] تقول لك الأميرةُ إنَّ وفْداً

من الصنَّاع مُرتقَبَ القُدومِ

أتوْا يشكون من ظُلمٍ غليظٍ

أحاطَ بهم ومن حُكمٍ غَشومِ

فإن بلغوا فصانعهم ، ورحبْ

بهم ، وابذُلْ لهم وُدَّ الحميمِ

وأنبئْنا متى قدِموا

الفضل : سأُنبي

فتلك بواكرُ الأملِ المرومِ

هرثمة : [لسكينة] سلامُ اللهِ أختَ بنى ربيعٍ

سكينة : سلامُ الله فخرَ بنى تميمِ

قدومُك كان مُرتقباً

هرثمة : فهلاَّ

رفعتِ إلى مسامِعها قُدومى

سكينة : سأفعل

[تخرج سكينة ويدخل مسرور]

مسرور : فى فِناءِ القصرِ قومٌ

من الصُّناعِ يرْجون المثُولا

الفضل : سأَلقاهم ، فأَبلغْ ذاكَ عنى
سُكينةَ

مسرور : قد تخيَّرتَ الرسولا

[يخرج الفضل ، ويخرج مسرور من الباب الذى دخلت منه سكينة]

هرثمة : لعمرُ الحقِّ ليس الأَمرُ هَزْلاً
فإنى أَلمحُ الحدثَ المَهولا
وقد تُخْشى عواقبهُ إذا لم
يكُ التدبيرُ متَّزناً جليلا
فإنهم أَشدُّ الناسِ جُنداً
وأَكرمهُم وأَمنعهم قبيلا

ابن الهادى : صدقت ، فإن أكنْ حرباً عليهم
وإنْ أُبغضْهمو البغضَ الدخيلا
فهم أَندى الأَنام بطونَ راحٍ
وأَرحبُهم ، وأَمضاهم عقولا

[تدخل سكينة فتتجه إلي ابن الهادي وتنفرد به في ناحية من المسرح]

سكينة : أخا الغرِّ الأئمةِ من قُريشٍ
وأكرمَهم - وإن كرُموا - أُصولا
وفدتُ إليكَ فى أمرٍ ثقيلٍ .
ابن الهادى : فقولى أعرفِ الأمرَ الثقيلا
سكينة : [فى حزم] تقول لك الأميرةُ أن تحدَّثْ
لعمِّك واذكرِ الحَدثَ الجليلا
ابن الهادى : [فى اضطراب يسير] وكيف ؟!
سكينة : تُحيطُه بالسرِّ خُبراً
ابن الهادى : [في استنكار] طلبتِ إلىَّ أمراً مُستحيلا
سكينة : [في تحريض] بل افعلْ ما أُمرتَ به يزولوا .
ألا ترجو لخصمك أن يزولا ! ؟
ابن الهادى : ولكن كيفَ أجرؤُ ؟
سكينة : [فى حزم] دعْ ولكنْ
فلمْ أرَ مثلَها هنمتْ فحُولا

[مستطردة في تهوين] ستُبلغه حقـــائقَ !

ابن الهادى : ربَّ حـــقٍّ

[فى تبرم] رأيتُ الـكذْبَ أكرمَ منه قِيلا (١)

[ثم يلتفت الي أقصي البهو فيقول فى تعجل]

تَنَحَّ فالخليفـــةُ جاءَ

سكينة: [وهى مسرعة فى الخروج] فاسلُكْ

على اسمِ اللهِ للهدَفِ السبيـــلا

المشهد الرابع

[يدخل مسرور]

مسرور : أميرُ المؤمنـــين

هرثمة : جبـــاهُ ربى

دوامَ الأيدِ والعمـــرَ الطويلا

[يدخل الرشيد في سواده]

(١) قولا .

الرشيد : أهرثمةَ أرى ؟

هرثمة : [وهو يقبل يديه] مولاى فانعمْ

وعش ، واغنمْ ، وزدْ مجداً أثيلا

أمرتَ فعدتُ أطوى الأرضَ طيًّا

وجئتُ أُسابقُ الريحَ القَبولا

فمُرْ تَجد الولىَّ دماً ولحماً

يطيعُك لن يَحيد ولن يميلا

أُطالع فيك ظلَّ اللهِ فينا

وألمحُ فى أَسرَّتِك [1] الرسولا

الرشيد : رعاكَ اللهُ من سيفٍ حبتْنى

به الأَيامُ مؤتلقاً صقيلا

ستعرفُ ما حزمتُ عليه أَمرى

إذا اقتضتِ الحوادثُ أن أقولا

[يتجه الرشيد الي العرش فيجلس عليه]

[مستطرداً لمسرور]

---

(١) أسرة الوجه ملامحه .

غُلامُ ادعُ الكرامَ بنى أبينا
وقل لهمُ ادخلوا مُتفضلينا

[يدخل اسماعيل بن يحيي وعبد الملك بن صالح والعباس بن محمد فيستقبلهم الرشيد واقفاً ثم يجلس]

اسماعيل : تحيتُنا إلى أندى قريشٍ
يداً وأعزِّهم شرفاً ودينا

عبد الملك : وأكرمِهمْ أباً فحلا وجدًّا
وأرجاهم وأنجبِهمْ بنينا

ابن الهادى : وأحْناهم علَى الرحماء قلباً
وأصلبِهمْ على المتجبِّرينا

العباس : بقيتَ تُقَلِّدُ المأْمونَ مَجْداً
وعِشت تُحيط باليُمنِ الأمينا

الرشيد : تعالَوْا فاجْلسوا منى قريباً
فقد كُنْتم لىَ الكهفَ الأمينا

[يجلسون قريبا من العرش في منازلهم المعروفة]

[مستطردا] إذا لم يَستنِدْ جاهى إليكمْ
فكيفَ أُعِزُّ جاهَ المُسلمينا ؟!

[يدخل الفضل]

الفضل : ببابِك يا أمينَ اللهِ قومٌ
من الصنّاعِ قد بلغوا مِئينا (١)
أتوْا يتظلّمون
الرشيد : أحقُّ شعبى
بفيض عنايتى المُتظلِّمونا
فمرْهم يبعثوا منهم فريقاً
يَسوقُ لنا حديثَ المُشتكينا

[يقف اسماعيل بن يحي متجهما]

اسماعيل : تمهّل فضلُ ، إن لدىَّ قولاً
أيأذنُ لى الخليفةُ أن أُبينا
الرشيد : نعم عمّاه ، قلْ ما شئت
اسماعيل : إنِّى
سألتُك (٢) أن تردَّ الوافدينا

(١) مئات (٢) أقسمت عليك .

فإن فَصَلوا [1] قتلتَ الأمرَ بحثاً

فجلّيتَ الحقائقَ والظُّنونا

الرشيد : أترضَى أن يُقالَ أشاح كِبراً

عن العانين والمُستضْعفينا

وبَدَّل سُنَّةَ الخلفاءِ بَغياً ؟!

وحقِّك إن رَضيتَ لقد رَضِينا

اسماعيل : أعيذُ حجاك من زورٍ ومينٍ

يُلَبِّسه عليك المُرجفونا

فما تلك الوفودُ بذاتِ شأنٍ

الرشيد : [فى انكار] أليسُوا الزارعين الصانعينا ؟!

أليسوا الباذلينَ لنا خراجاً

طَعِمْناهُ ، وأطعمنا بنينا

أليس جباهُهم تَنْدى فَظَلْنا

نعبُّ رشيحها حتى روينا [2] ؟!

---

(١) فصلوا وذهبوا بمعنى .

(٢) ظلنا هي ظللنا . ويعب يشرب بشدة . والرشيح العرق .

اسماعيل : أجـلْ لكنَّها لم تُعط حكماً[1]

ولا حزماً ولا رأياً رزينا

إذا دُفِعوا لشرٍّ أو لخيرٍ

وَلَوْه مُكابرينَ مُكاثرينا

وإن نَهدَوا إلى أمرٍ جُموعاً

فانَّ جموعَهم تَلِدُ الجُنونا

الرشيد : وما تخشاه عمِّ إذا سمعنا

لهمْ ؟

اسماعيل: [في عنف] أَخشى اجتراءَ الوادعينا

وأخشى أن يرَى الجهلاءُ حقاً

لهم أن يشرَعوا للراشدينا

عبد الملك : أمينَ الله هذا وفدُ سوءٍ

بناهُ فى الظلامِ الحاقدونا

(١) أى قوة قضاء وفصل .

فلا تأبهْ بما صَخِبُوا وضجُّوا
فأَوشابُ [1] الرجالِ الصاخبونا

العباس : فإنْ تأذنْ لهم فأْذن ليحيي
وجعفرَ يَسمعون ويدفعونا
وجعفرُ حصنُك الأعلى ، ويحيي
إذا رُمتَ المعاقلَ والحصونا

الرشيد : [في دهشة وحزم] أإن أصغيتُ للشاكين ثُرتُمْ
وجئتم مُغضَبِينَ مُعاتبينا ؟
علمتُم كيف أُوثر آلَ يحيي
وكيف أحبُّهم حبًّا مَكينا
ولكنِّي إذا لم أرْعَ شعبي
فلستُ إذن أميرَ المؤمنينا
أأخفِرُ ذمَّتي وأخون عهدي؟
أخافُ اللهَ ربَّ العالمينا !

(١) م الأوباش

ابن الهادى : أيدعوهمْ ؟

الرشيد : عليَّ بهـم

الفضل : [للوفود من عندالباب] تَعالوْا

لمحراب(1) الخليفةَ آمنينا

اسماعيل : هـداكَ اللهُ للوُثْقى وهيَّا

لكَ التوفيقَ والرأىَ اليمينا (2)

[يخرج اسماعيل ، وعبد الملك والعباس]

[ويبقى هرثمة وجعفر بن الهادي]

المشهد الخامس

[تدخل أخلاط من رجال ونساء من طبقات الشعب الدنيا ومنهم من هو ممزق الثياب . ومنهم من هو مجروح]

بعض الوفد : أجرنا يا أميرَ المؤمنينا

آخر : حَكمت فأجرِ حُكمَ اللهِ فينا

---

(1) أي مجلسه .

(2) الرأي اليمين أي المصيب.

آخر : لقينا من جنودك كلَّ سوءٍ

آخر : أذاقونا الأذى متجبِّرينا

الرشيد : فهل متحدثٌ منكم يؤدِّى

رسالتكمْ ؟ فإنا سامعونا

أبو الجهم : أمينَ اللهِ أدركْنا فإنَّا مسَّنا الضُّرُّ

أفى بغدادَ والدنيا تُماليها وتُضطرُّ

وروضُ السعدِ ريَّان وثغرُ الخفضِ مُفترُّ

نعيشُ العيشةَ الدُّنيا ويَهْنا الأجنبُ الغِمْرُ[1]

مخلد : أترضى أنْ يُجيعونا وأنت الوَفْرُ واليُسْرُ

وأَن نُمسى بلا رِيٍّ وأنت البحرُ والقطرُ

أبو الجهم : وذَنبانا ، هما الهُونُ لدى الظالمِ والفقرُ

فلسنا من بنى برمكَ لا يُعصى لهم أمْرُ

---

(١) الأجنب الأجنبي ، والغمر قليل التجربة

نماهم للعلا كسرى ومانى(١) ومنوجهرُ(٢)
ولكنا من العُرْبِ وحظُّ العُرْبِ مزورٌّ
قريش.. هل لها وَزْنٌ لدَى الأعلاج أو قدرُ!؟

الرشيد : وما شكواكَ يا شيخُ ؟

[تتقدم عجوز من بين الصفوف وتفسح الطريق لنفسها بيديها فى ضعف واعياء . حتى تقف أمام الرشيد وتحاول اسكات أبي الجهم]

العجوز : [فى نغمة حازمة] ألا يوبقُنا الجَهْرُ
لقد جِئْنا فما نَدرى أخيرٌ ذاك أمْ شرٌّ
أَنشكو من له الأمرُ لِمن ليس له أمْرُ

[ضجة وتهامس]

هرثمة : صهٍ أيتها الشّمطاءُ

الفضل : هذا أقبحُ الحُمْقِ

الرشيد : [فى صوت حاد] دعاها ، لاتلوماها فقد نُهدى إلى الحقِّ
فهاتى الآنَ يا أماهُ ماعندكِ من شَكْوى

العجوز : تكلَّمْ يا أبا الجَهْم فأنى لم أعُدْ أقوَى

(١) من أنبياء الفرس (٢) من ملوكهم

فقد هدَّتنيَ السنُّ كما آدتنيَ (١) البلوى

أبو الجهم : لقد زادوا الخراجَ على كسادِ السُّوقِ والباعِ
فلما زيد ثانيةً نكسنا هامَ مطواعِ
فلما زيد ثالثةً سألنا ماهو الداعى
فصيغَ الردُّ من قتلٍ وإيقاعٍ وإخضاعِ
فطيعُك ذلَّ واستخذى فأدركْ أيها الراعى

[يعتدل الرشيد في جلسته]

مُخارق : فلو يُقضى على الناس خَراجُ المالِ بالعدْلِ
لأدَّينا من القوتِ ولم نَجْنَحْ إلى مطْلِ

أبو الجهم : ولكن ميَّزوا جنساً من الناسِ على جنسِ
فهذا مُخرِجُ الوَفْرِ وهذا مخرجُ البَخْسِ .
وفى الحقِّ ، فأين العربُ من مشيخةِ الفُرسِ
نمانا اللهُ للطينِ وهم للنارِ والشمسِ

العجوز : . نؤدِّيه على العَوْزِ فَيَكشرونَ به الحورا
وَنَطويه عن الأهلِ فيُعلون به الدورا

(١) أثقلتني .

مقاصيرَ، وجنات تُناوِحْنَ [1] المقاصيرا

جرى الماءُ حواليْها كما رَقْرَقت بلَّورا

فلو كان لك الخرْجُ [2] لأسلفنا المعاذيرا

أجرْنا بتَّ مأجوراً من اللهِ ومشكورا

[ثم في صوت مرهوب] فإن صمَّمتَ كالمنصورِ عشتَ العمرَ منصورا [3]

الرشيد : [وهو سام فى صوت قاس كأنما يحدث نفسه]

فإن صمَّمتَ كالمنصورِ عشتَ العمرَ منصورا

[ثم يلتفت للوفد] علمنا ما تَغَشَّاكم ولن نألوهُ تدبيرا

فعودوا مُطْمئنينَ سنولى الأمرَ تقديرا

أبو الجهم : أمينَ اللهِ من كنتَ له كهْفًا فقد عزَّا

مخلد : قِدَمٌ للدينِ والدنيا منيعَ التاجِ مُعْتزَّا

العجوز : [في صوت مرهوب] خذِ القسوةَ والعدلَ ونحِّ الضَّعْفَ والعجزا

[يخرجون]

---

(١) تواجهها وتقابلها (٢) الخرج والخراج بمعنًى.

(٣) اشارة لحادثة قتل أبى مسلم الخراسانى.

الرشيد : لقد طالعنى الوفدُ بقولٍ أزَّنى أزًّا (١)
فما أصدقَ ماقال وإن أثخَنَنى غمزا

المشهد السادس

[يدخل مسرور بعد أن كان قد خرج مع الوفد]

مسرور : وزيرُ مولاى

الرشيد : فليدخلْ

[يدخل جعفر] .

جعفر : فداك دمِى
أبا المُلوكِ وآبائى وإنْ هانوا
[ثم فى ضراعة] خليفةُ اللهِ هل يُصغى ويأْذنُ لى

الرشيد : قل فالنصيحةُ إفضالٌ وإحسانُ
خيرُ الذخيرةِ آراءٌ أضأنَ لنا
مواقعَ الخَطوِ ، والآراءُ أعوانُ

(١) الأز : التحريك العنيف .

جعفر : معاذَ حِجْرِكَ [1] والدنيا تُساسُ بهِ
كأنّمـا هو للأيّامِ ميزانُ
خلائفُ اللهِ سِفْرٌ من هُدًى ونُهًى
قُدْسٌ ، وأنت لهذا السِفرِ عُنوانُ
ترى فتمضى أمورُ المُلكِ راشدةً
كأنّ رأيك ألبابٌ وأعيانُ [2]
لا نُصحَ عندى أبا المأمونِ أبذُله
لكن شَكاةٌ أُزَجِّيها وأشجانُ
الرشيد : [فى شىء من الجفوة] تشكو ؟ وفيمَ ؟ ومِمَّنْ ؟ هل أبنتَ لنا
جعفر : أجلْ فللقولِ يا مولاى تِبيانُ
سمعتَ للقوم ما قالوا وما زعموا
وأُشهِدُ اللهَ قد ضلُّوا وقد مانوا
أيدٍ تُحرِّكهم تحتَ الظَلام كما
يُحرِّكُ الشرَّ فى الباغين شيطانُ

(1) الحجر العقل . (2) جمع عين

هلَّا لقيتَ سواهم ، قد يكونُ لهم

ومن نَحا نحوَهم رأىٌ وبُرهانُ

إن الوفودَ التى تُزجى تقول بما

يُوحَى إليها ، وبعضُ القولِ بُهتانُ

الرشيد : مهلاً ، أمن ذاك تشكو ؟ إن فعلتَ لقد

ظلمتَنا . وتوخِّى الظلمِ عُدوانُ

خليفةُ اللهِ أحضانٌ مُوَطَّأةٌ

للاَّجئينَ ، وللشاكين آذانُ

جعفر : لقد عصوْك بحبْس الخَرْجِ عنك ولا

شَكاةَ إن ظاهَرَ الشاكينَ عِصيانُ

أَيتْركون إذا ثاروا وشأنَهمو

إذنْ فليس لحُكمٍ حازمٍ شانُ

[فى حدة] لا يصلُحُ الملكُ فوضى لا قِوامَ له

الملك عدْلٌ وتعزيرٌ [1] وسُلطانُ

---

(١) عقاب وجزاء .

إذا العصاةُ على حُكّامهم وثَبوا

فقد يؤدِّبهم سيفٌ وقرآنُ

الرشيد : [في صورة من يكظم غيظه] هذا النُّهى يا ابنَ يحيَ فيك نعرفه

وفى البرامكةِ الأخيارِ مذ كانوا

سَنَقْدُرُ الأمرَ فى أضواءِ هدْيِك لا

نَزْورُّ عنه ، وهدْىُ اللهِ معوانُ

[الرشيد يلتفت لهرثمة فى حفاوة ظاهرة]

الرشيد : ترقَّبْ أن ترى الإيوانَ خِلواً

لِتُكملَ لى حديثَكَ يا ابنَ أعيَنْ

جعفر : [وقد فهم أن لقاءه غير مرغوب فيه] أعزَّ اللهُ مُلكَكَ واجتباه

ووطّدَ مِن دعائمه ومكّنْ

حضرتُ ولم أُتِمَّ شئونَ يومى

أيأذنُ لى أمينُ اللهِ

الرشيد : نأذنْ

[يخرج جعفر . ويخرج وراءه الفضل بن الربيع ويبق جعفر بن الهادى]

ابن الهادى : [لهرثمة] تقدمْ فنبِّىءْ بالذى كنتَ مرسلاً

لتفحصَ عنه

الرشيد : واذكر الحقَّ واصدُقِ

وكنتَ أمينى مذ بعثتُكَ رائداً

وليس أمينُ القومِ من لم يُحقِّقِ

وما يوبقُ الإنسانَ مثلُ اجترائه

على الحق .. فاخشَ اللهَ فى الناسِ ،واتّقِ

هرثمة : قَفلتُ مُغذًّا (١) من خُرَاسانَ بعد ما

تبيَّنتُ ما تُخفى خُراسانُ من غدرِ

وكنتُ بمرْوٍ قبل ذاك فهالنى

بوادرُ لم تَستخفِ تُنذرُ بالشرِّ

وفى طوسَ أحسستُ انتقاضاً وفتنةً

وفى همَذانَ النُّكرُ يُلقحُ بالنكرِ

---

(١) مسرعا .

طلبتَ إلىَّ الحقَّ لا شيءَ غـــيره

وحَذَّرتَنِى سوءَ الأحاديثِ والذكرِ

وخوَّفتنى ظُـــلمَ البرىءِ وإننى

لأضعفُ خَلقِ الله عن ذلك الوِزْرِ

أتسألُنى ماذا شهـدتُ .. كبائراً ! !

ودهياءَ بالأطرافِ توشك تَستشرى

ومَسْمومةً مِن دَعْوةٍ قَدْ تمكَّنتْ

فـــالت عن السرِّ المُخافِتِ للجهْرِ

لقد صحّ عندى أغلبُ القولِ عنهمو

فلمْ يك وَهْمًا ما انتهى لك من غدرِ

تَنَبَّـهْ أمينَ اللهِ للثَّغْرِ واستعنْ

على سَدِّهِ بالحزمِ والعزمةِ البكْرِ

الرشيد : وهل صحَّ ما جاءت بِه الكتْبُ ؟

هرثمة : جُـــلُّه

تبلَّجَ فى أطوائِه الصدقُ كالفجرِ

الرشيد : وما شأنُ يحيى الطالبِّ

هرثمة : فمُضْمِرٌ

لكَ الحقد ، مطبوعٌ على البغيِ والمكر

يَلوذُ بِمطواعِينَ لا يخذلونه

ويأْوى إذا يأْوى إلى عسكرٍ مَجْرِ [(1)]

الرشيد : [جد وحدة] أتدْرى الذى تُلقيهِ ؟

هرثمة : أدريهِ كلَّهُ

الرشيد : أتُقسِمُ ؟

هرثمة : بالبيتِ المُحرَّمِ والسِّتر

[يتقدم هرثمة فيطلع الرشيد على أوراق ورسائل يخرجها من صدره ويقرأها الرشيد في تمهل وعناية . ويعطي كتابا منها أكبر قسط من اهتمامه فيلوح عليه الانفعال بعد قراءته ثم يبقيه معه]

الرشيد :[فى أسف] ودِدْتُ وبيتِ اللهِ أنِّىَ لم أقفْ

على مكرِهم ، حتى أُغَيَّبَ فى قبرى

(1) كثيف .

فليس يسيراً وأد ودٍّ ذخرته

فكان على الأيامِ من أنفسِ الذُّخر

وليس قليلاً فقدُ خِدْنٍ صحبتُه

فشاطرتُه مجدى ، وقاسمتُه عمرى

[يتجه الرشيد الي الباب الذي يوصل الى حرم « القصر » ويقول لهرثمة مستطردا فى صوت مرهوب]

تأهَّبْ مع الأحراسِ والجُندِ ، قد أرى

فأبلغكُم رأيي وآمركم أمرى

[يخرج هرثمة ويبقى ابن الهادي فيقترب من الرشيد مترددا كأنما يريد أن يحدثه فى أمر خطير]

ابن الهادى : [فى اضطراب] تمهَّلْ أمينَ اللهِ ، لى معْك وَقْفَةٌ

إذا لم أقِفْها لُمتُ نفسى مدى الدهرِ

الرشيد : تكلم وقلْ ما شئتَ . . . . مالك واجماً ؟

ابن الهادى : وجمتُ لخطبٍ ضاق عن حَمْلهِ صدرى

تُهابُ فلا يُلقَى إليك بسرِّه

وإن باتَ من بيتٍ إلى سامرٍ يسرى

الرشيد : وبعــدُ !!

ابن الهادى : سأُقضى بالذى قد علمتُـه

وإن كان يفرى من ضلوعىَ ما يَفرى

يقولون يا عماه [ويكررها مضطربا]

الرشيد: [فى شىء من الحدة] قـــل ردِّد الذى

يقولون واحذر قالةَ الإفك والهُجر

ابن الهادى : يقولون يا عمـاه والقولُ قائمٌ

على حُجَّةٍ ليستْ بتافِهــةِ القدْر

يقولون ... عن ودٍّ نما بين جعفرٍ

وأُختِ أمينِ اللهِ

الرشيد : [في اضطراب ثم يتماسك] يا لك من غُمْـرٍ [1]

ألم تكُ تَدرى أنَّ جعفرَ زوجُها

بلى والحوامِيمِ [2] العُلَى إنه صِهرى

(١) الجاهل (٢) سور من القرآن الكريم .

ابن الهادى : حمدتُ إله العرشِ لا ربَّ غيرُه
[في تهلل مصطنع] وعدتُ إليهِ بالإنابةِ والشُّكْرِ
فإن صحّ ما قالوه فيها

الرشيد : فإنّه
لفاجعةُ الدُّنيا وكارثةُ الدهرِ
تَعلَّمْ فإن الهاشميّاتِ مُضْغَةٌ
مُبَرأةٌ صِيغت من الصوْنِ والطُّهْرِ

ابن الهادى : ألان عَرفنا لابنها طُهرَ مهدهِ

الرشيد : [في فزع ويسترد حكمه على نفسه] تقولُ ابنُها !! مالى كأنى لا أدرى ؟؟
أجل ، قد ظلَمْناها بسترْ زواجِها
وتلك هَناتُ العُنْجُهيّةِ والكِبْرِ

ابن الهادى : أيأذنُ لى مولاى

الرشيد : فاذهبْ موفقاً

[يخرج ابن الهادي]

الرشيد : [مستطردا في مرارة] تداعيتِ يا نفسى ، وعانيْتَ يا صبرى

غُــلام

[يدخل مسرور] فأبلغْ أمَّ جعفــرَ أننى

أودُّ لقاها فى عظيمٍ من الأمرِ

[يخرج مسرور مسرعا]

الرشيد : [مستطردا] أرى الأمرَ قد أوْفى على الغايةِ التى

يُرى الصبرُ فيها وهوضربٌ من الجُبنِ

برئتُ من المنصورِ إن لم أُبادهم

فأُشقِ الذى أُشقى ، وأُفنِ الذى أُفنى

المشهد السابع

[تدخل زبيدة]

الرشيد : تعــالىْ !

زبيدة : أمينَ اللهِ مالكَ عابساً

غضوباً ، أمن هم السِّياسةِ أم منِّى !؟

الرشيد : تعـــالَ فنبِّينى اليقينَ وخبِّرى

ولا تَحبِسى شيئًا

زبيدة : فمــا شئتَ فاسألْنى

لقد عشتُ نفساً منك تدْرى سريرتى

وتعلم ما أُقصي من الأمرِ أو أُدْنى

الرشيد : نما لى حديثٌ ، يا زبيدةُ، مفْظِعٌ

فزلزلَ من لُبِّى وصدَّع من رُكنى

أحقٌّ تخطَّى جعفرٌ سترَ خدرها !؟

فإن كان ، فالتَّنكيلُ أهونُ ما يَجنى

زبيدة : [فى تهوين] حسِبْنا الذى يُضنيك همًّا مُبرِّحًا

فلمــا بلوْناهُ وجدناهُ لا يُضنى

الرشيد : وكيف ؟

زبيدة : أما زَوَّجتَها مِنــه !؟

الرشيد : إنَّــنى

فعلتُ ، ولـكنِّى نَهيتُ ، ولكنِّى . .

ووكّدتُ نهيي كرّةً بعد كرّةٍ
أقول فأَكني ، أو أقولُ فلا أكني

زبيدة : [في تحريض] تُحَرّمُ ما قد حلّل الله للورى
لكي يرثوا الدُّنيا ، وتهدمُ مايَبْني
إذا كنتَ تنهى أنت ، والله آمرٌ
فمن منكما نُلقي له السمعَ خبّرني !

الرشيد : [في اصرار] عصوْني

زبيدة : أطاعوا الله هارونُ

الرشيد : أمسكي
أتهزأُ بي أختي ويختلني (١) خدني
غداً سيقولُ الناسُ زوّجت حُرّةً
قريشيةً من غير كُفْءٍ ولا قِرْنِ
وإن خُدورَ المجدِ من آلِ هاشمٍ
أُبيحَ حماها للأعاجم والهُجْنِ (٢)

---

(١) يخدعني (٢) جمع هجين وهو المختلط النسب .

[يتقدم الرشيد خطوة لزبيدة ويقول لها فى هدوء خطر]

وقيلَ لها ابنٌ ؟

زبيدة : هبْ !! فأىُّ عجيبـــةٍ

إذا ذاتُ زوجٍ نضَّرتْ عيشَها بابنٍ !؟

الرشيد : عجبت لذاك العقلِ لم يَزعِ الهـوى

ولم يردعِ الإغراءَ عنهـا ولم يَثْنِ !

زبيدة : [فى خبث وتحريض]

أَتَخشى ابنَها هارونُ ؟

الرشيد : رُحماك فاصمتى

دعينى لأنواءٍ تَهوَّلن (١) فى ذِهنى

زبيدة : [فى تحريض أشد]

حسبتُكَ تَخشاهُ على المُلك فى غدٍ

إذا ضَمَّ سيفَ العُرْبِ والفرس فى جَفنِ

---

(١) تهول الشيء : صار هائلا .

الرشيد : عَرضتِ لأمرٍ لم يطُفْ لى بِخاطر

زبيدة : [في خبث] ظننتُك تعنى ذاك

الرشيد : بل غيرَه أعـــنى

تَعمَّـدنى بِالبغى مُلـكا وحُرمـةً

فَيـا عدلَ جبّـارِ السماواتِ سدِّدْنى

لستُ بِكفِّ إثْمَـــه واجترأءَهُ

علىّ، ولم آخذْ بِمُلْتَبسِ الظنِّ

وإنى لأخشى قالةَ السوءِ فى غـدٍ

تَقاذَفُ كالدُّفّاعِ (١) فى البيدِ والمُدْنِ

بأنِّى من اجلِ العرضِ أثخنتُ فِيهمو

ولِلعرضِ قَرّاضون بالثلْب والطعْنِ

أشيرى بِرأىٍ فالمُلمـاتُ دهدَهتْ

فجـاءَتُها لـىَّ، كما ضعضعت متْنى

---

(١) التيار المندفع .

زبيدة : تريّثْ أمينَ اللهِ ، واجنحْ لرحمةٍ

فَلم يَجنيا ذنباً

الرشيد : [في استنكار] أساخرةٌ مِنى !؟

زبيدة : معاذَ رضاكَ السمْح ظلَّلتنى به

فسوَّغتَنى وِرْدَ الهناءةِ والأمنِ

ولكنَّنى أُفضى إليك بما أرى

برغمِ الذى أَطوى لجعفرَ من ضِغنِ

ضَمَمتَهما ذا شارةٍ (١) وقسامةٍ

وخوداً يغار الحسنُ فيها من الحُسْنِ

وزوَّجتَه منها وأدنَيتَهُ لها

على رَفرفٍ (٢) النعماءِ فى ميْعةِ السنِّ

وما اجْتمع الجنسانِ إلا انتشى الهوى

وعربدَ بين العين والفمِ والأُذنِ

(١) جمال (٢) الرفرف البساط .

فلا تَلُمِ الإلفين فالله قد برا

قلوبَ البرايا من جموحٍ ومن وهْنِ

[الرشيد وقد استعاد حكمه على نفسه وفى صوت هادىء]

الرشيد : غلامُ أجعفرٌ بالباب ؟ مُرْه

يَجئ

[يدخل مسرور فيسْمع الأمر ويخرج لينفذه]

زبيدة : [فى اثارة] أَعَزَمْت ياموْلاى أَمرَا ؟

الرشيد : زبيدة فادْخلى

زبيدة : [فى تحريض أشد] أُعطيت حزما

فما نَسْطِيع بعدَ اليومِ صبراَ

[يقف الرشيد قلقا وكأنما يسمع هاتفا يقول]

فإنْ صّممتَ كالمنصورِ

عِشتَ العمرَ منصورا

المشهد الثامن

[يدخل جعفر]

جعفر : مولاى هل كرّمتنى فدعوتنى

الرشيد : [فى جفاء] ما كرّمَ الإنسانَ إلا فِعلُهُ

والمرءُ يوبقه الطماحُ إذا جرى

مُلْقَى الزمامِ فلم يَزَعْهُ عقلُهُ

جعفر : مولاى هذى حكمةٌ عُلويَّةُ الـ

ـمغزى وهذا القولُ حقٌّ كلُّهُ

الرشيد : [مستطرداً كأن لم يسمع رد جعفر] وأشدُّ أعداءِ الفتى فتكاً بِهِ

نفسٌ يُضللها الهوى فتُضلُّهُ

والمجدُ لا يَسْنَى على صدر الفتى

فَيَزِينه ، إن لم يَزِنْهُ أَصلُهُ

جعفر : مولاىَ إنك عاتبٌ

الرشيد : [فى تزفع] بل غاضبٌ

العَتْبُ يعرفُه لِمثلِ مثلُهُ

جعفر : مولاىَ تَحميـــه رجاحةُ عقـلِه

أنْ يَسمعَ الواشى ويأبى عدلُهُ

أنا من نشأْتُ ببـابِه ، ودرجْتُ فى

محـــرابِه وأظلُّ بيتى ظـــلُّهُ

وجريْتُ للشأْوِ البعيدِ من العُـلى

تُدنيـه جَـــدواهُ إلىّ وفضلُهُ

أنا صنعُ كفِّك

الرشيد : ما كذَبتَ

جعفر : فكيْف يا

مولاى أكفرُ بالصنيـع المُجـزَلِ ؟!

الرشيد : كم من أخٍ أصمى أخاه فكبّه[1]

وأبٍ تَقَصَّـــدَهُ ابنـهُ فى مقتَلِ

جعفر : تأبى عـــلىّ فواضِلٌ أوليتَنى

وسماوةٌ من نعمـــة ذَلَلت لى

---

(١) كبّه صرعه .

الرشيد : إنّ النفوسَ إذا تفاقَم شرُّها
وأثامُها برِمت بفضلِ المُفضلِ

جعفر : إن لم أصُنْ ماضىَّ فيك فإننى
برضاك مفروضٌ على المستقبلِ
أنا نبْتُ فضلِكَ ، صنتَه ورعيتَه

الرشيد : [فى شدة] فبما يمورُ (1) السمُّ فيهِ ، ويغتلِى

جعفر : مولاىَ أيَّةُ فريَةٍ لِمُمَوِّهٍ
بلَّغْتَها ووشايةٍ لِمضلِّلِ
من كان محسودَ المكانة لم يزل
نهباً لِمضطغنٍ عليهِ ومُبطِلِ

الرشيد : أتقولُ أيةُ فرية ؟ ! تاللهِ لم
تؤخذْ بغيرِ الحقِّ والنصِّ الجلى

جعفر : [فى ضراعة] مولاى هل تُفضى إلىَّ ببعضِ ما
تُحصى علىَّ ، فربَّ شَكٍّ ينجلى

(1) يمور يضطرب .

الرشيد : لكَ ما سألتَ، فذاكَ حقُّك لم نكن
لِنضنَّ نحن بهِ وإن لم تسألِ
[في صوت مرهوب] قل لى ؛ متى كنتم علينا قامةً
نرأى بعينكم الأمورَ ونجتلى
لا رأى إلَّا ما رأيتم وجدكم
فى كل هيْنٍ فى الأمورِ ومُعْضِلِ
الحكْمُ فى أبياتنا لكمو وفى
أبنائنا ، يُلقى إليهم من عَلِ
جعفر : مولاى لسنا قامةً بل أعبُداً
بِهُداك نَضبِطُ من شئونك ما نلى
نُمضى أصاغرَها ونتركُ ضخْمَها
لنُهاكَ تصدَعُه برأى فيْصَلِ (١)
إن لم نضَعْ عنك الخفائفَ (٢) لم تُطق
حملَ الجسيمِ من الخطوبِ النُّزَّلِ

(١) فيصل : قاطع (٢) جمع خفيفة وهي التافهة من الأمور.

الرشيد : ومتى ورِثتم ملْكنا وملكتمو
طرفيه ، يأخذُ آخرٌ عن أوّلِ
وغصبتمو أرباضَه وغياضَه
مستأثرين ، وكلَّ وادٍ مُبقل (١)
فَىْءُ البلادِ لكم ، وطاعتُها لكم
وولاتُها منكم ، ونحنُ بمعْزلِ

جعفر : مولاى إنك قد غضبتَ فلم تقل
عَدْلاً ، وكم من مُغْضَبٍ لم يعدِلِ
جاءوك بالكذب الخسيسِ وأوْغلوا
فى الإفكِ جَهْدَ الحاقدِ المُتوغِّلِ
فمنحتَهم نفساً تبدّل ميلُها
والنفسُ ذاتُ تغيُّرٍ وتبدُّلِ
سلكوا إلى مالِ القلوبِ سبيلَهم
أرأيتَ أيةَ صحبةٍ لم تملَلِ

(١) المبقل المزروع المغل .

الرشيد :[في استهزاء] وسلبتمو جاهَ الخليفــةِ جهرةً

وتركتموهُ دُميـةً فى هيـكلِ

أُترفتْمو مِثلَ المـلوكِ وأمّتى

جوْعى تَدَافَعُ فى الحضيضِ الأسفلِ

والجـوعُ مُشعـل كُلِّ ثورةِ ثائرٍ

لولا مسـاحِجُ [1] نابهِ لم تُشعـلِ

جعفر : مولاى كنا خير قَوْمٍ أخرجوا

للنـاس حين رضاك لم يتحـوّلِ

كنـا ـ كما رددّت ـ خيرَ حكومـةٍ

نَهجَتْ على هدْىِ الكتابِ المُنزلِ

الآخـــذين على الدُّهـاةِ سبيلَهم

والضاربين الهـامَ تحت القَسْطَلِ

---

(١) آثار العض

مولاى إن مالَ الزمانُ بِصاعدٍ

لقىَ الشقاوةَ فى السماكِ الأعزلِ

الرشيد : [فى تقريع] أأجبتنى ؟!

جعفر : ماذا أقول ولَيْسَ فى

ما سُقتَه غيرَ اتِّهامٍ مَجْهَلِ [1]

الرشيد : بل إنها التُهَمُ التى تَزِنُ الدُّنا

جعفر : بل لم تَزِنْ مولاىَ حَبَّةَ خردلِ

سُسْنا بِعينيك البلادَ فأرقلت [2]

للمجدِ ، ترقى مِنه أكرمَ منزلِ

ودرجتَ لم تُنْكر علينا خُطةً

يومًا ، ولو لم ترضَها لم نفعلِ

وأخذتَ تأمر أو تجيزُ ومن يُجزْ

ما تمَّ مُحتفلاً بِهِ لم يَسْألِ

(١) المجهل هو البيداء لايهتدي فيها والمراد هنا أن الاتهام غير واقع على شيء معيّن.

(٢) أسرعت .

الرشيد : قلت اتهامٌ مَجهَلُ

جعفر : وأعيد يا

مولاى

الرشيد : قل ما شئْتَ إن لم تَخْجَلِ

يا خائنَ العهدِ الوثيقِ نَقَضْته

مُتنكراً

جعفر : مولاى لا تتعجَّل

أأُخونُ عهدَكَ أنتَ .. إنك جُنَّتى

وعليك مِن دونِ الأنامِ مُعَوَّلى

أأخون عهدَ أخى . . ؟

الرشيد : خسئتَ فما أخى

بالغادرِ المُتنمِّرِ المُتسللِ

[بعد سكتة قصيرة] من هاجَ ثورات البلادِ ففتنةٌ

فى الرَّىّ تَلْقحُ فِتنةً فى فارسِ

وتمرّد في إصفهانَ وقومسٍ
يَقوَى بآخرَ في الجزيرةِ خامسِ

جعفر : فتنُ الجهالةِ لم تهجْ حتى خبتْ
في مهدِها ومضت كأمسِ الدارسِ

الرشيد : [في حدة بالغة] بل هجتموها عامدين لتظفروا
عادين بالأملِ القديم الهاجس
أملِ الوثوب على الخلافةِ عنوةً
في خنجرِ الباغي ودرعِ الحارسِ

جعفر : [في شيء من الازدراء] مولاي هل تعنى الذى تُلق

الرشيد : نعم

جعفر : مولاي يضرب في الظلام الدامسِ
هذى دسائسُ عصبةٍ مشبوبةِ الأ
حقادِ لا تَحيا بغير دسائسِ
من كلِّ مهزولِ المكانة حاسدٍ
ومُخلَّفٍ حطِمِ القوائم نافسِ

هَجموا بِفرِيتهم على قلبٍ صغا[1]

عنا ، فأصغى للهُــراءِ الهامِس

الرشيد : [فى وعيد] هل تُنكرون مُروقكم وخُروجكم

إنّ الدلائلَ والشهودَ كثيرُ

فلمن حشدتُم جُندَكم وجموعَكم

تَضفو خُراسانٌ بهم وتمور[2]

ولمن كتائبُ عند مَروَ كثيفةٌ

يُومَى لها بإشارةٍ فتُغيرُ

جعفر : [فى اضطراب يسير] مولاى هم حربٌ على أعداك

الرشيد : بَلْ

حــربٌ دوائرُها علىَّ تدورُ

[فى تحد] أفتنكرونَ ؟

جعفر : [فى يأس] وكيف يُنكر يائسٌ

غضب الرشيدُ عليه والمقــدورُ

---

(1) صغا عنه : مال وعدل عنه (2) ضفا الحوض فاض ، وتمور تثور فى عنف واضطراب.

دبَّرت فافعلْ إن كلَّ شفاعةٍ
لَغْــوٌ إذا ما أُبرم التدبيرُ

الرشيد : أطلقتَ يحيَ الطالبيَّ وأنت بالـ
ـحدثِ الذى يدعو إليه خبيرُ
موسى أخوكَ وليُّه وعقيــدُه
والفضـلُ يَرعى جنـدَه ويَميرُ (١)
الطالبيـــةُ أصبحتْ فى حِجركم
رمزاً يُشار لأجــله ويُشيرُ

جعفر : [فى حدة] مولاى قلتُ كفى اتهـاماً باطِلاً
أشكو لِمنْ وأخى علىَّ يجورُ
مولاى إنْ تَظلمْ فظلمُك سائغٌ
لـكنّ شكَّك فى أخيك مريرُ
أطلقتُ يحــيَ الطالبيَّ تحرُّجا
ممـــا يُقال وإنه لكبيرُ

---

(١) يطعمه وينفق عليه .

مـولاى تذكُر أنك استقدمتَـه

وأجـرتَه والهـاشمىُّ مُجيرُ

أعطيتَه عَهْدَ الأمانِ وإنه

بكريم خطّك مُعجَمٌ مسطورُ

ففككتُ عنه وَثاقه وحملتُـهُ

كى لا تبيتَ وعهدُك المخفورُ

ورصدتُ حوْليهِ العيونَ يواقظاً

فكأنه وهو الطليقُ أسيرُ

[ثم فى ضراعة] مولاى فارْعَ أُخوتى

الرشيد : [في سخرية] أَرعيتها ؟ !

جعفر : مولاى عهدُك فى دمى مذخورُ

الرشيد : أمسكْ فهل يَرعى لعهدٍ حرمةً

ذئبٌ بأفواه الفلاةِ عَقورُ

أَسَفَفْتَ بالخُلق الكريمِ وسُمْتَه

عاراً . فهتَّكَ سِترُه المستورُ

أقسمتُ بِالودِّ الرفيعِ وإنه

لِسَنًا يُشعشعُ[1] فى الحياةِ ونورُ

ما كان يوغرنى عليك تمرّد

فالناسُ شاكرُ نعمةٍ وكفورُ

أقسمتُ لم آخذْك أخذَةَ ناقمٍ

إلاّ لأنك للصديق غَدورُ

ولأنّك انتهكتَ لديك ودنّستْ

مُثُلٌ لها التقديسُ والتوقيرُ

مُثُلُ الوفاءِ السمْحِ أما روضُه

فَنَدٍ[2] وأما ماؤه فَطهورُ

هجّنت فى عينىّ كلَّ فضيلةٍ

فإذا المروءةُ والجمالُ غرورُ

---

(١) يشعشع يضىء (٢) مبتل بالندى . .

[ثم في حدة]   مسرور خذه إلى الجحيمِ

جعفر :   أقاتلى ؟

الرشيد : [في سخرية]   بل إنــهُ التطهير والتفكيرُ

جعفر :   أقسمتُ بالجبَّارِ فى ملكوته الأَ

علَى له التهليلُ والتكبيرُ

بالواحدِ القهَّار ملءُ جحيمهِ

للظَّالمينَ وللطغاةِ سعيرُ

أقسمتُ إنك ظالمى متعمداً

والظلم يُردى أهله ويُبيرُ [1]

لم أجن وزراً ، غيرَ مجدٍ ضلَّ فى

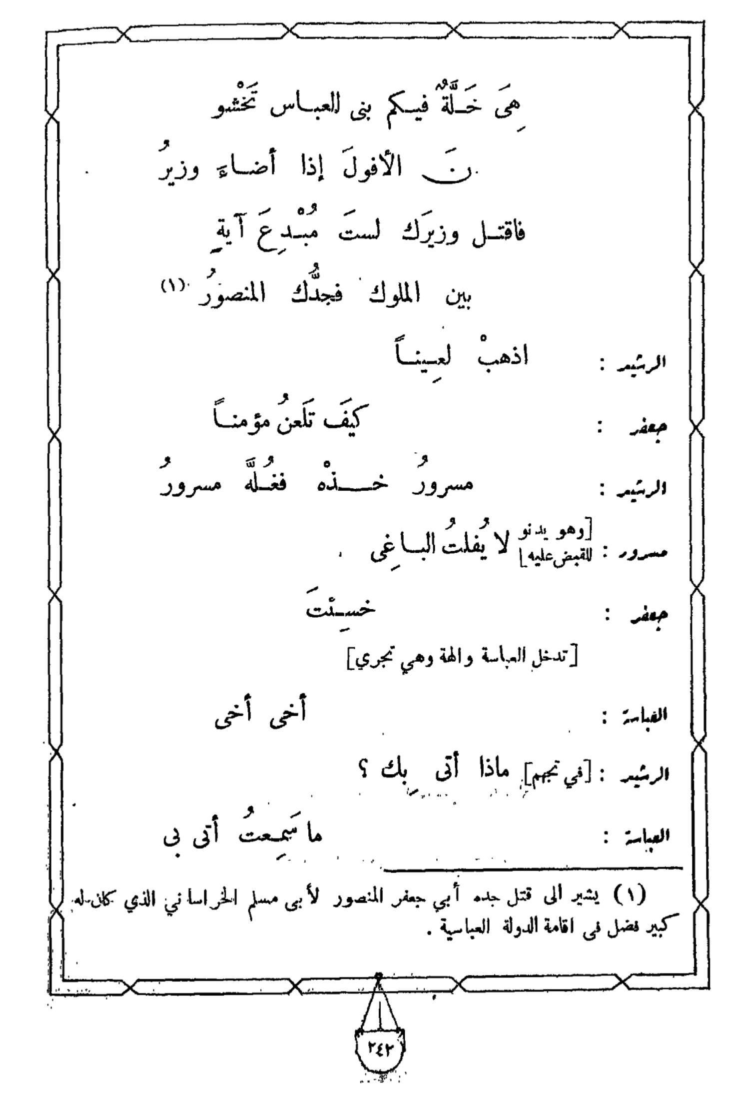
غاياته مُستَوزَرٌ وأميرُ

ضَخْمِ المغارسِ يستظلُّ بظلِّه

مُلْكٌ ويَسنَى منبرٌ وسريرُ

---

(١) يهلك .



هِىَ خَـلَّةٌ فيـكم بنى العبـاس تَخْشو

نَ الأفولَ إذا أضـاءَ وزيرُ

فاقتـل وزيرَكَ لستَ مُبْدِعَ آيةٍ

بين الملوك فجدُّكَ المنصورُ (١)

الرشيد : اذهبْ لعيناً

جعفر : كيفَ تَلعنُ مؤمناً

الرشيد : مسرورُ خـذْهُ فغُلَّه مسرورُ

مسرور : [وهو يدنو للقبض عليه] لا يُفلتُ البـاغِى

جعفر : خسِئتَ

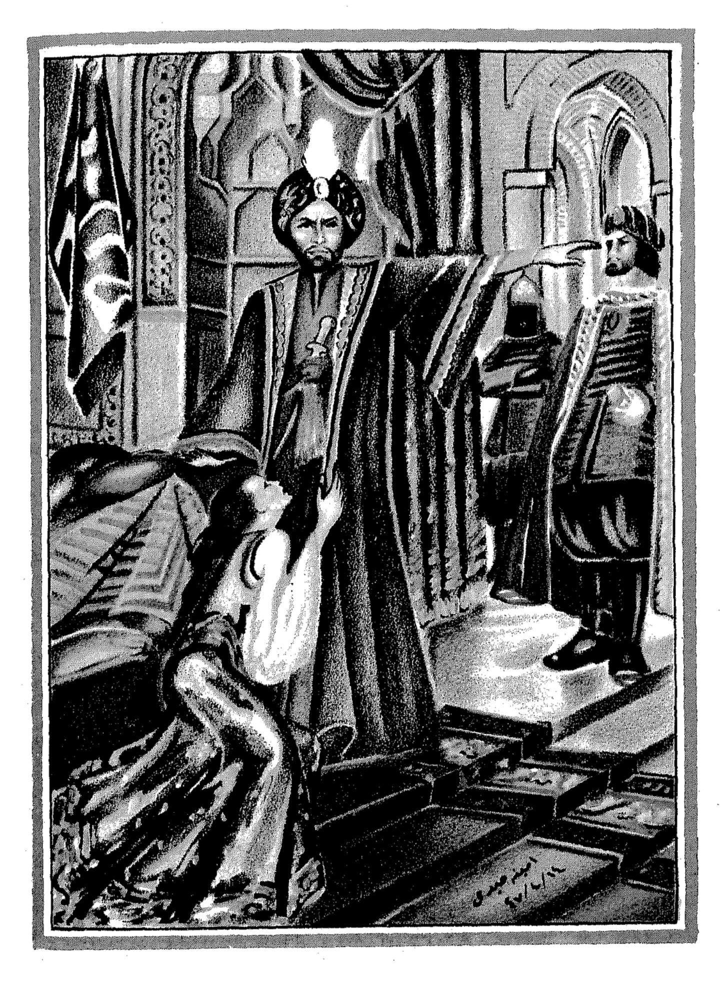
[تدخل العباسة والهة وهي تجري]

العباسة : أخى أخى

الرشيد : [في تجهم] ماذا أتى بِك ؟

العباسة : ما سَمِعتُ أتى بى

(١) يشير الى قتل جده أبي جعفر المنصور لأبى مسلم الخراساني الذي كان له كبير فضل فى اقامة الدولة العباسية .



الرشيد : [في حدة يسيرة] يا أُختَ هارونَ ارجعى

العباسة : أَرَجعتَ عن

حَدَثٍ يُشيرُ مذمَّةَ الأحقابِ

جعفر : [فيذهول] مالى تَهيّبتُ الحِمامَ ولم أكن

مِنْ قبلُ بالمُتخوِّف الهيّابِ

ما ذاك إلا أننى أبصرتُها

فذكرتُ أنسَ الأهلِ والأحبابِ

ووددْتُ أنى لم أُذَدْ عن حوضِها

حتى ولو كان الهوانُ شرابى

العباسة : [فيضراعة] رفقًا أخى

الرشيد :[فى حدة] أشفاعة فى خائنٍ ؟

العباسة : تاللهِ تلك سعايةُ الأحزابِ

لم يوغلوا فى إفكهم وكذابِهم

إلا ليجتمعوا على الأسلابِ

جعفر : مولاى قل غيرَ الخيانةِ أحتملْ

العباسة : ليس الخيانةُ للكرامِ بدابِ

الرشيد : بل خانَ سيِّدَه وخان بلادَه

وانصبَّ فوقهما سياطَ عذابِ

العباسة : أيخونُ عهدَك وهو داعمُ مُلكِكَ الأ

على بمُحْصَدَةٍ من الأطنابِ (١)

هارون لا تتبعْ هواكَ

الرشيد : [في كظم] متى الهوى

ملكَ الزمامَ على أولى الألبابِ

هلاَّ صمتِّ ، فما الذى يعنيك من

غَضَبى عليه،

العباسة : [فى حدة واستنكار] أما عرفتَ جوابى

هذا التغابى منك قد ضقنا به

أيُضيعُ قُدسَى الحقوقِ تغابِ

(١) المحصدة : المحكمة . والأطناب : الحبال الغليظة .

هارونُ! صهرُك !

الرشيد : أىُّ صهرٍ دبَّ فى

غسقِ الدُّجى فَسطا على الأحسابِ

جعفر : [فى اعتداد] مولاى إنَّ الزوجَ لا يسطو

الرشيد : صَهٍ

جعفر : يأبى علَىَّ نصابُها ونصابى (1)

قد كنتَ تسترُ حقَّنا مُستكبرا

فَخُذِ الحقيقةَ غيرَ ذاتِ نقابِ

الله أكبرُ منك أمراً نافذاً

فى شرعةٍ مرفوعةٍ وكتابِ

[يدخل هرثمة فى شىء من القلق]

[يقع نظره على العباسة فيغض من بصره]

هرثمة : مولاى فاغفرْ لى الدخولَ بغير ما

إذنٍ ، فإن النارَ بالأبوابِ

(1) النصاب : الشرف .

شَهَرتْ خُراسانُ السلاحَ عليك !

الرشيد : مَنْ

نبّـاك ، أفصحْ

هرثمة : عُقبةُ بن شهابِ

خلّفتـه ليرى ، فَمرْ نَنْفِـرْ لهم

فى جحفـل كالعيـلم[1] المُنسابِ

الرشيد : [فى هياج] بل تقطعون الرأس أولَ خُطـوةٍ

ثم التّفرُّغُ بعـــــدُ للأذنابِ

[لهرثمـة] هلاّ فعلتَ ! !

العباسة : [فى استخذاء] أخى سألتك رحمـةً

الرشيد : لم يألُـنى بغيـاً فحـقّ عقـابى

[مستطردا فى حدة] اخرجْ بِهِ

هرثمة : يا جعفـرُ اتبعنى

جعفر : [فى اعتداد شديد] بل اتـ

ـبعْنى فما أمشىَ على الأعقـاب

(١) البحر .

سَترى بعينك كيفَ أخطرُ للردى

يَضفُو عَلَيَّ ترفُّعي ونِصابي [1]

فَلطالما خُضتُ الدماءَ له فَلَمْ

أُدرِكْهُ تحت لهاذمي وعُقابي [2]

العباسة : [والهة] أَفْديك لا تذهب

جعفر : سأذهب موقنًا

أنْ سوفَ يمنحني الخلودَ ذَهابي

يبقى دمُ الشهداء نورَ هدايةٍ

لِلنّاسِ لا يخبو على الأحقابِ

[يخطو رافع الرأس خطوتين ليخرج ووراءه هرثمة ومسرور ، ثم يقف ويتجه ببصره للعباسة فيدركه شيء من الضعف]

[مستطردا] عباسةُ الدُّنيا قَرارةُ فُرقةٍ

فَتَنَظّري يوم الخروجِ [3] إيابي

(١) النصاب : الشرف . (٢) العقاب : الراية .

(٣) يوم القيامة .

قُولِى إذا جِئْتِ الحسين (١) أبوك لم

يُؤْخَــذْ بإثمٍ قد جَنـاهُ وعَابِ

عيشى له وارْعَىْ أباه غائِباً

فَلَقـدْ رَعيتِ على الحيـاةِ غيـابى

[يتمالك جأشـه] قولى له يَبْـذَخْ (٢) بأكرمِ والدٍ

قد كانَ فَخْرَ الدهْر والأترابِ

ما زال يقتعدُ العُـلا بعد العُـلا

حتى قَضى كالقسْورِ الغـلّابِ

وهوى هُوِىَّ الشمسِ محسودَ المدى

عفّ الطِّماحِ مُطهّـرَ الأثوابِ

لا تضْعُفِى بالخَطبِ واحتشـدى له

العباسة : بل سوف يقتلنى الغَـداةَ مُصـابى

---

(١) الحسين اسم ابنهما الصغير (٢) يفخر .

جعفر : [فى تهدج وضعف]

ضُميه عنى واحملى قُبَلى له
يُشرقْ كأفوافِ الربيع تُرابى
فأظلَّ منك ومنه فى وادى البلى الـ
ـمجْهولِ بين خميلةٍ وسحابِ

[يدفعه هرثمة فيخرج وتسقط العباسة على قدم الرشيد]

العباسة : [مستطردة] اذكر أميرَ المؤمنين فجائعى
واذكرْ شقائى زوجةً وعذابى
واغفرْ له بَدَراته وطِماحَه
لا زلتَ تصدرُ عن هدىً وصوابِ
إن كان عينَ العدلِ ما أزمعته
فارحم ــ رحُمتَ ــ شبابه وشبابى

[تسمع في الخارج ضجة عنيفة يتخللها صليل السيوف وقعقعة السلاح .
ثم تسمع أصوات مضطربة . يقف الرشيد واجما شديد العبوس والتقطيب .
وتدنو له العباسة والهة فتمسك بأهداب ثوبه]

[يدخل هرثمة عابسا ووراءه مسرور]

هرثمة : [في صوت حزين] مولاي دُمتَ مُمَلكا

العباسة : [صارخة] أقتَلته ؟؟

يا موتُ زِفَّ إلى الحبيب ركابي

ما قيمةُ الدنيا إذا صَفِرتْ من الأ

حْبابِ والآمالِ والآرابِ

حطَّمتني وهدَمتَ عُشى ظالمًا

الرشيد : ماكنتُ عن وَضَحِ السبيلِ بنابي

[ثم يدفعها بيديه فتقع علي أريكة قريبة كالمغمي عليها]
[فيغض هرثمة من بصره]
[الرشيد مستطرداً]

ابكى فربَّ غدٍ رجعتِ إلى النُّهى

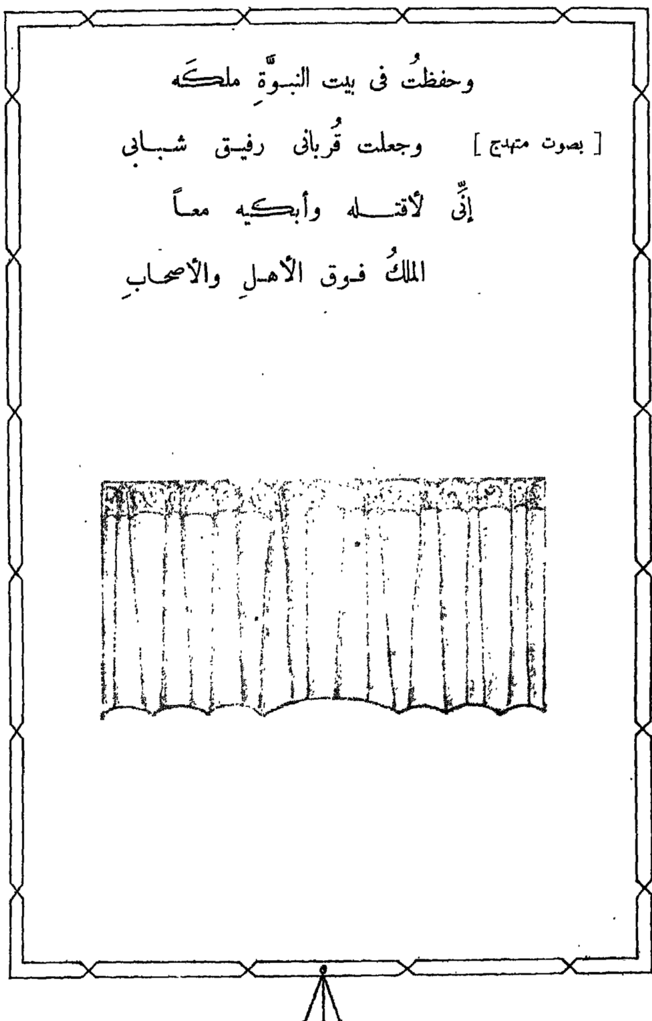
فسعيتِ لى بالصفح وَالإعتابِ

قُلْ للخلافةِ قد نجوتِ ففى غدٍ

تُفْضينَ سالمةً إلى أعقابى

إنى دفعتُ الشرَّ عنكِ بطعنة

لَمْ تُصْمِ إلا آثرَ الأَتْرابِ



وحفظتُ فى بيت النبوَّةِ ملكَه

[بصوت متهدج] وجعلت قُربانى رفيق شبابى

إنِّى لأقتله وأبكيه معاً

الملكُ فوق الأهلِ والأصحابِ

مراجع الرواية

المراجع العـــربية

(١) تاريخ الأمم والملوك ... ... للطبرى ... ...

(٢) مروج الذهب ... ... للمسعودي ... ...

(٣) العقـــد الفريد ... ... لابن عبد ربه ... ...

(٤) الأغاني ... ... للاصبهاني ... ...

(٥) اعلام النـاس ... ... للاتليدى ... ...

(٦) الفخرى ... ... لابن طباطبا ... ...

(٧) الوزراء والـكتـاب ... ... للجهشيارى ... ...

(٨) تاريخ التمدن الأسلامى ... ... لجورجى زيدان ... ...

(٩) العباسة أخت الرشيد ... ... » » ... ...

(١٠) حضارة الأسلام ... ... لجميل نخلة مدور ... ...

(١١) العباسة أخت هارون الرشيد ... ... لمحمود بدوى ... ...

(١٢) تاريخ هارون الرشيد والبرامكة ... ... بنت بطوطة ... ...

(١٣) تاريخ الأسلام ... ... حسن ابراهيم حسن ...

(١٤) تاريخ الأمم الاسلامية ... ... للخضرى بك ... ...

(١٥) وفيـات الأعيـان ... ... لابن خلكان ... ...

(١٦) تاريخ بغداد ... ... للخطيب البغدادى ... ...

(١٧) الـكامل في التـاريخ ... ... لابن الأثير ... ...

(١٨) شهيرات النساء فى الأسلام ... ... للاميرة قدرية حسين ...

(١٩) عصر المأمون ... ... لفريد رفاعى ... ...

(٢٠) النظم الأسلامية ... ... للدكتور حسن ابراهيم وعلى ابراهيم حسن

المراجع الافرنجيـــة

Femme Arabes — Dr. Perron

La vie de Haroun - Al - Rachid — G. Andisio

Histoire des Khalifes Abbassides — Cherbonneau

Histoire des Arabes — Sylvestre de Lacy

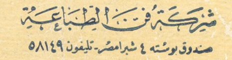
History of Arabs — Ph. K. Hitti

Les Vrais Arabes — Piboire

Histoire des Arabes — C. C. Huart

L'Art Arabe — E. Gayet


شركة فن الطباعة
صندوق بوستة ٤ شبرا مصر - تليفون ٥٨١٤٩


شركة فن الطباعة
صندوق بوسته ٤ شبرا مصر - تليفون ٥٨١٤٩